المقتطف

الجزء الرابع من السنة الثامنة عشرة

١ يناير (كانون ٢) سنة ١٨٩٤   الموافق ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣١١

الدكتور سالم باشا سالم

كُنْ محسناً مهما استطعت فهذه الـدنيا   وان طالت قصير عمرُها
انَّ المآثر في الورى ذرية   يفنى موأَثرُها ويبقى ذكرُها
فترى الكريم كشمعةٍ من عنبرٍ   ضاءَت فان طُفئت تضوَّع نشرُها

سيَر الكرام من خير ما تتحلى بهِ دواوين الادب وتتجمل بهِ مجلاَّت العلم ولا سيما اذا كانوا من الذين وسعوا نطاق المعارف وافادوا ابناءَ نوعهم بعلومهم . وقلما نتوخى ذكر هذه السيَر الاَّ حين يغادر اصحابها الحياة الدنيا لا مجاراةً لقول من قال

لا يحمد القوم الفتى الاَّ متى   مات فيعطى حقهُ تحت البلي

بل لان سفر العمل يبقى مفتوحاً ما دام في الانسان رمق فلا يُعلم ما يخطهُ فيهِ من الحسنات والسيئات. وقد اتفق لنا ان سطرنا ترجمة اثنين من العلماء الاعلام في الجزء الماضي ثم دعانا داعي الردى الى تسطير سيرة عالم ثالث وهو المرحوم الدكتور سالم باشا سالم فقد فجعت مصر بوفاتهِ في التاسع والعشرين من شهر دسمبر الماضي اثر داءٍ ضاعت فيهِ مهارتهُ ومهارة اخوانهِ الاطباء فجمعنا ما يلي من ترجمتهِ ممَّا كتبهُ هو عن نفسهِ في مقدمة كتابهِ الشهير وسائل الابتهاج في الطب الباطني والعلاج وممَّا كتبهُ عنهُ صديقهُ الدكتور غرانت بك في الجرنال الطبي الانكليزي سنة ١٨٨٧ فنقول

وُلد صاحب الترجمة في مدينة القاهرة وابوهُ الشيخ سالم الشرقاوي من افاضل علماء الازهر . ودخل مدرسة قصر العيني الطبيَّة سنة ١٨٤٤ واقام فيها اربع سنوات يتلقى

مبادىء العلوم الطبيَّة ثم ارسلتهُ الحكومة المصريَّة الى مدينة مونخ عاصمة بافاريا فاقام فيها اربع سنوات يتلقى الدروس الطبيَّة على اشهر اساتذة العصر كلييغ وبتنكفر ورثمند وجيتل وفيفر وسيبلد وغيرهم واكبَّ على الدرس بعزيمة صادقة وقال في ذلك "ان عزيمة التشوُّق الى نيل المراد كانت تتسابق مع التشوُّق الى العود للوطن بالاسعاد

وبقيتُ بين عزيمتين كلاهما   أَمضى وأَنفذ من شباة سنانِ
عزمٌ يشوقني الى طلب العلي   وهوًى يشوقني الى الاوطانِ"

ونال شهادة الدكتوريَّة في الطب والجراحة والولادة وشهادة الامتياز note d'éminence وخطب الاستاذ فيفر حينئذٍ خطبة شائقة قابل فيها بين احوال مونخ عاصمة بافاريا ومنف عاصمة القطر المصري في العصور الغابرة وافاض في وصف علوم المصريين الاقدمين وعلوم العرب واستطرد الى ذكر صاحب الترجمة واثنى عليهِ ثناءً جميلاً لاجتهادهِ وحبهِ لاساتذتهِ وأَمل ان يعود الى وطنهِ وينشر فيهِ ما اكتسبهُ في بلاد الالمان وقال في الختام ان كل ما اقتبسهُ في بلادهم من انوار المعارف ليس الاَّ ثمرة من شجرة العلوم الزكيَّة التي كان وطنها القديم ديار مصر فعادت بهِ بضاعتها اليها

ثم انتقل الى فينَّا عاصمة بلاد النمسا ودرس فيها سنة على اشهر الاساتذة ومضى الى برلين فاقام فيها مدة وجيزة ثم عاد الى مصر وجُعل جرَّاحًا في فرقة من فرق المدفعيَّة براتب خمسة جنيهات في الشهر وأُعطي رتبة يوزباشي

وسنة ١٨٥٦ عُين مساعدًا لاستاذ الفسيولوجيا في مدرسة قصر العيني الطبيَّة ثم مساعدًا لاستاذ علم الرمد ثم مساعدًا لاستاذ علم الباثولوجيا ورقي حينئذٍ الى رتبة صاغ قولغاسي ونقل الى دائرة المرحوم سعيد باشا وذهب معهُ الى الحجاز ثم جعل استاذًا لعلم الباثولوجيا في المدرسة الطبيَّة وأُنعم عليهِ بالرتبة الثانية. وحدث في تلك الاثناء انهُ عالج المرحوم سعيد باشا وقطع عنهُ نزفًا دمويًّا كاد يقضي عليهِ وخالف في ذلك غيرهُ من الاطباء ولكنهُ لم يحسن التجمُّل بل أَنذر ببقاء الخطر فأُبعد من خدمتهِ وثبت ما انذر بهِ

وعين سنة ١٨٦٦ نائبًا عن الحكومة المصرية في المؤتمر الطبي الذي عُقد في الاستانة العليَّة للبحث عن اصل الكوليرا وكان من الذاهبين الى انها مرض معدٍ وان لا بد من اقامة الكورنتينا لمنعها . وظل يرتقي في درجات المعالي الى ان أُنعم عليهِ برتبة ميرميران وجعل رئيسًا للمدرسة الطبيَّة وطبيبًا خاصًّا للمرحوم الخديوي السابق . وقد زرنا حينئذٍ هذه المدرسة فقابلنا بما فطر عليهِ من الانس وطاف بنا في كل غرفها ومعارضها وأَهدى

الينا الاجزاء التي طُبعت من كتابهِ وسائل الابتهاج

وعين سنة ١٨٨٠ رئيساً للجنة المكلفة باعادة تنظيم المصلحة الصحيَّة ثم رئيساً لمجلس الصحة العموميَّة وعضواً في مجلس المعارف العموميَّة. وفي الخامس من شهر يوليو سنة ١٨٨٢ كان يرئس لجنة الامتحان العام في مدرسة قصر العيني فاضطرَّ ان يهرب الى الاسكندريَّة من وجه رجال الثورة وبقي مع المرحوم الخديوي السابق الى ان خمدت نار الفتنة فعاد الى العاصمة

وسنة ١٨٨٣ فشت الكوليرا في مصر واختلف اعضاء المجلس الصحي في سببها فذهب هو وبعض الاعضاء الى انها وافدة من الهند وذهب غيرهم الى انها محليَّة نشأت في القطر المصري نفسهِ وترتب على ذلك ان أُلغي المجلس في شهر فبراير سنة ١٨٨٤. وانعم عليهِ المرحوم الخديوي السابق برتبة روملي بكلربك وبقي طبيباً خاصًّا لسموهِ الى ان توفَّاهُ الله منذ سنتين

وقد ذكرنا الخلاف الذي كان بينهُ وبين غيرهِ من الاطباء في اصل الكوليرا في الجزء الثالث من المجلد العاشر من المقتطف في رسالة مسهبة للدكتور غرانت بك ملأَت ثماني صفحات من المقتطف

وللدكتور سالم باشا سالم كتابهُ الشهير في الطب الباطني والعلاج وقد نقلهُ عن باثولوجية نيمير (Niemeyer) الشهيرة واضاف الي كل فصل من فصولهِ ما تتم بهِ الفائدة ولهُ كتاب آخر في الباثولوجيا نقلهُ عن كتاب كنز (Kunze) وطبع جانباً كبيراً منهُ في مطبعة المقتطف ولم يتمهُ. ولم يكتفِ بالنقل بل كان يقتصر من الاصل على ما تمس اليهِ الحاجة في هذه البلاد ويضيف اليهِ ما تتمُّ بهِ الفائدة ولا سيما مما علمهُ بالاختبار . ولهُ في المقتطف مقالات كثيرة نقل كثيراً منها عن الالمانيَّة وهي تشهد لهُ بواسع الاطلاع والرغبة الشديدة في نشر العلوم

وكان رحمهُ الله ربعة بين الرجال طلق المحيَّا انيس المحضر واسع الرواية كثير الاحسان ماهراً في صناعتهِ حاذقاً في تشخيص الامراض وعلاجها مرفوع المنزلة عند الجميع وكان لنعاهُ رنة اسىً واسف ومشى في جنازتهِ كبير وزراء مصر دولتلو رياض باشا وقاضي قضاتها ونقيب اشرافها وجمٌّ غفير من العظماء والعلماء وكلهم آسف على فراقهِ ذاكر ما لهُ من الايادي البيضاء. تغمدهُ الله برحمتهِ ورضوانهِ

الدكتور كلوت بك

وتاريخ المدرسة الطبية

لم نكد نكتب ترجمة كبير اطباء مصر الدكتور سالم باشا سالم حتى جُدّد ذكر مؤسس المدرسة الطبيَّة فيها وهو الدكتور كلوت بك وذلك بالتمثال الذي اهداهُ ابنهُ الى مدرسة قصر العيني ونُصب في ساحتها في السادس من هذا الشهر باحتفال حافل رأَسهُ صاحب الدولة رياض باشا ناظر المعارف العموميَّة بالنيابة عن الحكومة المصريَّة وحضرهُ خلق كثير من الاطباء والادباء. وقد رأَينا ان نذكر هنا طرفًا من ترجمة هذا الرجل الفاضل وتاريخ المدرسة الطبيَّة المصرية ملخصين اكثر ذلك عما كتبهُ جناب الدكتور غرانت بك في جريدة الشفاء الطبيَّة

ولد المترجم بهِ في مدينة غرينوبل ببلاد فرنسا من عائلة فقيرة جدًّا في اواخر سنة ١٨٩٣ ويتم من ابيهِ وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ ولم يتسنَّ لهُ ان يتعلم سوى المبادئ البسيطة لكنهُ اقام مدة مع جرَّاح كان يعالج اباهُ قبل موتهِ فرغب في صناعة الجراحة وصار يعمل بعض العمليَّات الصغيرة ويطالع الكتب الطبيَّة . ثم قصد المستشفى الطبي في مرسيليا ليدرس فيهِ العلوم الطبيَّة ولقي من المشاق في هذا السبيل ما يضعف العزائم ولاسيما لما كان فيهِ من الفقر المدقع لكنهُ صبر على مضض البلوى وثبت ثبوت الابطال فنال ما تمنى وعين طبيبًا صحيًّا ثم جرَّاحًا في ذلك المستشفى. وقصد مدرسة مونبليه الطبيَّة سنة ١٨٢٠ وامتحن فيها لاجل الدبلوما الدكتوريَّة فأَعجب الممتحنون بمهارتهِ . ولما عاد الى مرسيليا عُين طبيبًا ثانيًا في مستشفى الرحمة وجرَّاحًا مستشارًا في مستشفى الايتام

وكان علم الطب قد أُهمل في القطر المصري قبل ايام العزيز مُحَمَّد علي باشا بسنين كثيرة وكان الناس متروكين الى رحمة الحلاقين والمنجمين اولئك ينزفون دماءهم بالفصادة والحجامة وهؤلاء يوهمون عليهم بخزعبلاتهم المختلقة ورأَى العزيز انهُ لا يستطيع ارغام الدجالين على ترك صناعتهم ما دام جمهور الشعب معتقدًا بهم ومعتمدًا عليهم ولا يستطيع ان يقطع دابرهم كما قطع دابر المماليك فعزم على نشر العلوم والمعارف في البلاد لان الظلمة تزول بانتشار النور فانشأَ فيها بيوت العلم المختلفة وفي ايامهِ نهضت مصر من حضيض الجهل والذل الى اوج العلم والمجد

ولما نظم امر جنودهِ اهتمَّ بأَمر صحتهم فاستحضر لهم الاطباء من اوربا واقامهم لخدمتهم

وسنة ١٨٢٥ احضر الدكتور كلوت من فرنسا وجعلهُ رئيس اطباء الجيش المصري فلم يكد يصل الى مصر حتى وجد الخلل في الادارة الطبيَّة لانهُ لم يكن فيها قوانين للاطباء تعرفهم واجباتهم وحدودهم فأَشار على بوزاري طبيب مُحَمَّد علي باشا باتباع القانون الفرنسوي في امر الاطباء وبانشاء مجلس للصحة يكون هو (بوزاري) رئيساً لهُ . وكان بوزاري من الرجال الكرماء المخلصين لاسيادهم ولكنهُ لم يخلُ من الاثرة ومحبة الذات فعرض الامر على مسامع العزيز وبعد قليل أُنشئَ مجلس الصحة وكان فيهِ ثلاثة اعضاء يرأسهم بوزاري واما كلوت فلم يكن منهم . واجتمع هذا المجلس اجتماعهُ الاول في الخانقه (على سبعة اميال من مصر الى الشمال الشرقي منها) وذلك في ٢٥ مارس سنة ١٨٢٥ واعطاهُ العزيز السلطة المطلقة في امر الاطباء فكتب الى كلوت يعينهُ في وظيفتهِ وبعد اشهر قليلة عين كلوت ولويجي أَسندري (صيدلاني صيدليَّة القلعة) عضوين فيهِ ولم يلبث كلوت ان دخل هذا المجلس حتى أَدخل اليهِ النظامات الصحيَّة الفرنسويَّة واستعان بهِ على اهل المفاسد الذين وقفوا لهُ بالمرصاد . ثم وجَّه اهتمامهُ الى تنظيم احوال الجيش الصحيَّة في السلم والحرب فنظمها بحسب النظامات الفرنسويَّة . وكان اطباء الجيش يلبسون الملابس الرسمية كضباطهِ وتُوجه اليهم النياشين والقاب الشرف مثلهم

وكان مقام الجنود في الخانقه فعزم كلوت على انشاء مستشفى لهم ووجد بالقرب من ذلك المكان بناءً رحباً كان ثكنة للفرسان فاستخدمهُ لهذه الغاية ووضع فيهِ مرضى الجيش فقط في اول الامر ثم جعلهُ عمومياً لجميع المرضى فتكللت اعمالهُ بالنجاح . وحينئذٍ خطر لهُ ان ينشئَ مدرسة طبية بجانب هذا المستشفى رجاء ان يخرج من هذه المدرسة ضباط صحة للجيش من اهل الوطن وعرض الامر على مسامع العزيز فاستصوبهُ وامرهُ ان يشرع فيهِ فأُنشئت المدرسة بابي زعبل

ورأَى كلوت صعوبات كثيرة تعترضهُ ولكنهُ كان رجلاً حازماً اذا رأَى الصعوبة قاومها بكل عزمهِ حتى يتغلب عليها . والصعوبة الاولى التي اعترضتهُ كانت مسئلة اللغة لان الاساتذة الذين عزم على استخدامهم لايعرفون العربية والتلامذة لايعرفون الفرنسويَّة ولا الايطالية وحسب انهُ يضيع الوقت بتعليمهم لغة من هاتين اللغتين استعداداً لدرس الطب بها فلم يرَ لهُ بدًّا من اقامة المترجمين بين الاساتذة والتلامذة . والصعوبة الثانية هي ان اهالي مصر كانوا يعتقدون ان تشريح اجساد الموتى ممنوع دينيًّا فتباحث مع مشايخ الدين في هذه المسأَلة ولحسن الاتفاق اقنعهم بأَن درس التشريح وتشريح الموتى غايتهما من

احمد الغايات ألا وهي حفظ الاحياء ولا يمكن لاحد ان يمهر في صناعة الطب ما لم يدرس علم التشريح على هذه الصورة

وكان عزيز مصر عارفاً بحقائق الامور ومترفعاً عن التعصبات الدينية ولكنهُ لم يشأ ان يأخذ الامور بالعنف فلم يرخص لكلوت بتشريح الموتى ترخيصاً صريحاً ولكنهُ وعدهُ بأن لا يعترضهُ احد اذا سار بالحكمة

والتلامذة انفسهم نفروا في اول الامر من تشريح الموتى ولكنهم الفوهُ بعد حين وصاروا يشرحون عن طيب نفس ورغبة في العلم. ولولا كلوت ما امكن للوطنيين ان يقدموا من انفسهم على تشريح الموتى لان مدارس الخلفاء الاولين لم تفعل ذلك مع ما بلغتهُ من الشهرة والحريَّة في البحث والتعليم ولذلك فتلامذة المدرسة الطبيَّة المصريَّة يتمتعون الان بما حُرم منهُ تلامذة المدارس الطبيَّة في ايام الخلفاء الاولين فينتظر منهم ان يفوقوا اولئك

ومما يذكر بالاسف والاستغراب ان احد التلامذة دنا من الدكتور كلوت وهو في فرقة التشريح وطعنهُ بخنجر في رأسهِ فلم يصبهُ فطعنهُ ثانية في جوار بطنهِ فلم يصبهُ ايضاً بمكروه وللحال بادر بقية التلامذة الى هذا التلميذ وحالوا بينهُ وبين استاذهِ

ولما تغلَّب كلوت على كل المصاعب عُين مديرًا للمدرسة الطبية وذلك في غرة سنة ١٨٢٧ بعد ان نسجت عناكب النسيان على المدارس الطبية العربية مدة خمس مئة عام. فاختار لها الاساتذة من الفرنسويين والايطاليين وهذه اسماؤُهم ووظائفهم في المدرسة

غايتاني	مدرس التشريح العام والوصفي والباثولوجي والفسيولوجيا
برنار	مدرس الهيجين الخاص والعام والعسكري والطب الشرعي
دڤينيو	مدرس الباثولوجيا والكلينيك الباطنيين
كلوت	مدرس الباثولوجيا والكلينيك الجراحيين والعميات وفن الولادة
برثلمي	مدرس المواد الطبيَّة والترابيوتيا وعلم وصف الادوية وعلم السموم
سلزيا	مدرس الكيميا والطبيعيات
تغاري	مدرس النبات ومدير البستان النباتي
لسبرنزا	محضر دروس التشريح والرواميز التشريحيَّة والباثولوجيَّة

وسلَّم المستشفى لهؤُلاء المدرسين وتلامذتهم لكي يطببوا المرضى فيهِ ويدرسوا سير الامراض وطرق علاجها

واختار انفس الكتب المستعملة حينئذٍ في اوربا لتدريس صناعة الطب وكان

التلامذة مقسومين الى عشر فرق وجعل التلميذ الانجب في كل فرقة عريفاً لها وهذه وهي الطريقة التي اختارها للتدريس

(١) يترجم الدرس الى العربيَّة في حضرة المدرّس وهو يشرح كل الامور العويصة للترجمان

(٢) يُقرأُ الدرس بالعربيَّة على مسمع التلامذة وهم يكتبون في دفاترهم ما يذكرهم بهِ

(٣) يشرح المدرّس للتلامذة كل ما يعسر عليهم فهمهُ . وكان مباحاً لعريف الفرقة ان يطلب زيادة الايضاح في كل فروع الدرس

(٤) يطلب من العريف ان يراجع الدرس لتلامذة فرقتهِ

(٥) يمتحن التلامذة كل شهر في الدروس التي درسوها ذلك الشهر وحينئذٍ يختار ابرع التلامذة ويجعلون عرفاء لفرقهم . ولهذا النظام مزيتان الاولى حث التلامذة على العمل والثانية القاء المنافسة الشريفة بينهم حتى يطلب كل منهم ان يفوق اقرانهُ

واضيف الى المدرسة الطبيَّة مدرسة اخرى لتعليم اللغة الفرنسويَّة وأُجبر طلبة الطب كلهم على درس هذه اللغة حتى اذا اكملوا دروسهم الطبيَّة وخرجوا من المدرسة استطاعوا ان يطالعوا كتب الطب الفرنسويَّة ويعرفوا كل ما يجدُّ فيهِ . الَّا ان هذه المدرسة الغيت بعد حين

وسنة ١٨٣٢ اختار الدكتور كلوت اثني عشر تلميذاً من انجب التلامذة وسار بهم الى باريس وقدَّمهم الى الجمعيَّة العلميَّة الطبيَّة فاختيرت لجنة لامتحانهم من اشهر اطبائها برئاسة الدكتور اورفلا وجرى ذلك باحتفال عظيم حضرهُ طبيب الملك الخصوصي وجمهور غفير من الامراء والاطباء والعلماء وحُصرت المسائل في المواد الآتية وهي (١) الكلام على المخ والاذن الباطنة والعين وخصوصاً البلوريَّة والكتركتا والعمليَّة اللازمة لها . (٢) الكلام على الملتحمة وامراضها . (٣) الكلام على القناة الاربيَّة والفتق الاربي والعمليَّة اللازمة لهُ . (٤) الكلام على العجان وعنق المثانة واسباب الحصاة واعراضها وعمليتها على طريقة كلوت بك . (٥) شرح المفاصل الكتفيَّة العضديَّة وخلع العضد وردهِ . (٦) الكلام على جروح الاسلحة الناريَّة التي تستدعي عمليَّة البتر وشرح هذه العمليَّة . (٧) الكلام على تشريح الكبد وشرح تاريخ الالتهاب الكبدي

ويظهر من ذلك ان الدكتور كلوت بك كان يهتمُّ بنوع خاص بالامراض والآفات التي تكثر في القطر المصري ويخرّج تلامذتهُ فيها حتى يزيد نفعهم لوطنهم . ويظهر من

اجوبتهم انهم كانوا قد فهموا حقيقة ما تعلموهُ وقرنوا العلم بالعمل وان لجنة الامتحان سرَّت بما اجابوا بهِ ولذلك قام كاتبها وهنأَهم بفوزهم واملّ ان يعود بهم عصر ابن سينا والرازي وابي القاسم

وسنة ١٨٣٧ نقلت المدرسة الطبيَّة من ابي زعبل الى القاهرة وفتحت مدرسة لتعليم القابلات فن الولادة وأُنشئت مستشفيات كثيرة في مدن القطر واستعمل تطعيم الجدري فقلَّ انتشارهُ في القطر المصري وكان يفتك قبل ذلك بستين الفاً من الاطفال كل سنة. ولما انتشر الطاعون سنة ١٨٣٠ كان يموت بهِ في القاهرة وحدها الفا نفس كل يوم فقام هو وتلامذتهُ لمقاومتهِ ومعالجة المصابين بهِ الى ان تقشعت غيومهُ من سماء القطر فسرَّ العزيز من اعمالهِ وانعم عليهِ برتبة بك ولم تكن تعطي لمثلهِ . ثم فشا الطاعون سنة ١٨٣٥ فنهض هو وثلاثة من الاطباء لمقاومتهِ وكان يعتقد انهُ غير معدٍ وطعَّم نفسهُ بدم الخرَّاج امام تلامذتهِ اثباتاً لقولهِ وتشجيعاً لهم ومكث على هذه الحالة باذلاً جهدهُ في معالجة المرضى ستة اشهر فبعث العزيز يشكرهُ على ذلك وانعم عليهِ برتبة جنرال

واتى بلاد الشام لما دخلها الشهير ابرهيم باشا وزار دمشق وبيروت وصيداء وعكاء وحيفا وجبل الكرمل وذهب الى الناصرة لما كان الطاعون فيها وزار نابلس وبيت المقدس وغزة وطبَّب المرضى وابقى لهُ في الشام ذكرًا جميلاً

ولما تولى المرحوم عباس باشا اقفلت مدرسة الطب وعاد الدكتور كلوت بك الى فرنسا وبقي فيها الى ان تولى المرحوم سعيد باشا فعاد الى مصر ليعيد المدرسة الطبيَّة الى ما كانت عليهِ من الانتظام في ايام جدهِ المرحوم مُحَمَّد علي باشا ونجح في ذلك النجاح التام وبقي في القطر المصري الى سنة ١٨٦٠ وحينئذٍ عاد الى مرسيليا وطنهِ واقام فيها الى ان وافتهُ المنيَّة في الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨٦٨ . وكان لين العريكة كثير التدين مكبًّا على العمل متفانياً في نشر العلوم الطبيَّة

حاشية. مما يذكر مع الشكر لجناب الدكتور شميل صاحب الشفاء انهُ اول من اشار بنصب تمثال للمرحوم كلوت بك في صحن مدرسة قصر العيني فقد قال في الصفحة ١٨٢ من الجزء الخامس من الشفا الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٨ ما نصهُ ((جرت العادة ان كل رجل اتى بعمل جليل ينصبون لهُ تمثالاً احياء لذكرهِ وحثاً للاحياء على الاقتداء بهِ. وفضل كلوت في تاسيس المدرسة الطبية المصرية ظاهر. فالامل اقامة تمثال لهُ ينصب في صحن المدرسة وبذلك نكون قد وفينا الرجل حقهُ في مماتهِ جزاء صادق خدمتهِ لنا في حياتهِ))

الأحلام والكابوس والسومنبولزم

معرَّبة بتصرُّف من جريدة العصر الاميركية بقلم حضرة رفعتلو اسعد افندي داغر

تمهيد

رأَيْتُ اشياءَ شتَّى لا عِداد لها   والعين مُغْمَضَةٌ والحسُّ في عَدَمِ
وطِرْتُ في الجوّ أَحيانًا وسرتُ الى   أَقصي البلادِ ولم اخطر على قدَمِ
كلَّمْتُ مَنْ لم يكلّمْني ونحْتُ على   مَنْ لم يمُتْ وبلا خطٍّ جرى قلمي
وشدّ ماخِفْتُ من غولٍ بلاسَبَبٍ   رام اُغتيالِيَ بغيًا وهو لم يَرُمِ
وكم رأَيْتُ بداري اللصَّ يسرقني   وإنهُ حول داري قطُّ لم يحُمِ
وكم تسَوَّرْتُ أَسْوارًا وهِمتُ على   وجهي فرارًا ولو نُبّهْتُ لم أَهِمِ
وكم تَضَوَّرْتُ من ضغطٍ أَناخ على   صدري وحاول تعجيلاً لمخْتَرَمي
وكل ذاك وهذا في الحقيقةِ قد   لَقِيتُهُ وأَنا في غفلةِ الحُلُمِ

مسأَلة الرؤَى واحلام من المسائل العويصة التي علقت بها خواطر الفلاسفة وقلقت لها افكار العلماء من قديم الزمان الى الآن ومعظم الاهتمام بها مسوق نحو ما يقع منها ويجري مجرى التكهن والسبق بالاخبار عن حوادث لا تلبث أَن تأْتي مصداقًا للانباء منطبقةً عليهِ كل الانطباق . وما هو بالنزر القليل . ولا بالمنقول عن سالف الاساطير من عهد المخرقة والتخرُّص والتدجيل . حتى لا يلتفتُ اليهِ. ولا يُعوَّل عليهِ. بل لدينا منهُ حوادث جمة تعدُّ بالمئات . مأْثورة مع اصدق الاخبار عن افضل الرواة الثقات . بل قلَّ من لم تعرض لهُ رؤًى تحققتْ . وأَحلام صدَقتْ . او اتصل بهِ ممن يثق بصدقهم خبرُ حلم شاهد صحتهُ بعينهِ . بعد ما قصهُ صاحبهُ عليهِ . وهذا مسلَّمٌ بهِ بالإجماع . وكنتُ اودُّ لولا ضيق المقام وعدم الحاجة أَنْ أُثبتَ بعض الحوادث المتحقق عندي وقوعها بعد إذ دلَّت عليها الرؤَى وانبأَت عنها الأَحلام مني ومن الذين لا ارتاب في صدقهم

ولستُ أُنكرُ انهُ قد يُوجَد عشرة في المئة من الذين لا يرون أَحلامًا وبالتالي لا يعتقدون بصحتها لان الانسان قد لا يُؤْمن حتى يرى بعيني نفسهِ . فقد روى بعضهم

وهو ممن لا يعتقدون بصحتها على الاطلاق انهُ كان يحلم حينما ينام متألماً من سوء هضمٍ او تعبٍ مفرطٍ وفي ما سوى ذلك لم يشاهد قطُّ حلماً . فعندهُ أنَّ " هذا كل ما في الأحلامَ " لكنهُ زاد على ذلك قولهُ : انَّ اخاهُ رأى في نومهِ أنَّ احدى السفن المعهودة عندهُ اصطدمت بصخرٍ فانكسرت وانهُ بسبب حلم اخيهِ هذا عدل عن ركوب تلك السفينة بعدما عزم عليهِ ولم تمضِ الَّا ايام قليلة حتى شاع خبر ضياع هذه السفينة وذهاب اكثر ركابها غرقاً. ونُقلَ عن بعضهم انهُ لم يرَ حلماً في حياتهِ وانهُ وهو في فراشهِ يكون إما مستيقظاً او نائماً فحين يكون نائماً لا يعلم شيئاً البتة منذ ما يطبق جفنيهِ حتى يستيقظ . وأرى أنَّ هذا اندر من النادر . وكثيرون لا يعتقدون بأنَّ في الاحلام شيئاً خارقاً العادة او فائقاً الطبيعة ولا يسلمون بصحة علاقتها بالحوادث التالية لها لكن قلَّ منْ لم يشاهد حلماً او لم يكن موضوع حلمٍ او لم يَرَ ابوهُ او أُمهُ اوجدَّتهُ او قريب آخر لهُ او صديقهُ اشياء في الحلم كانت ظلالاً لحوادث آتية. فقد قرَّرت احدى السيدات انها اعتادت أن تحلم كل ليلةٍ وأنَّ كل ما توقَّع لها في حياتها تقريباً من جيدٍ ومن رديءٍ كانت تبشرها بهِ الرؤَى وتنذرها بهِ الاحلام ويرى البعض أنَّ الافكار تعمل بعضها ببعض في الاحلام وبهذه الواسطة تعلن اشياء كثيرة لا يُستطاع استجلاؤُها بالوسائط الاعتياديَّة الطبيعيَّة وعلى هذه الطريقة قال بعضهم ان أرواح الموتى تناجي الاحياء. وقال آخر : " ان الله في الايام القديمة كان يكلّم شعبهُ بالرؤَى والاحلام فماذا يمنع الله سبحانهُ وتعالى يستخدم لمكالمة شعبهِ الآن ما استخدمهُ في قديم الازمان " فهذا لا يشارك القائلين بعدم صحة الاحلام فقط بل يرى أنَّ استخفافهم بها من مقوّضات اركان الدين. وما أحسن ما قالتهُ احدى السيدات الفاضلات جواباً لاحد العلماء وقد اكثر امامها من الهزء بالاحلام : « ان في السماء والارض اشياء كثيرة لم تحلها بفلسفتك»

تاريخ الاحلام وصورها

يراد بالاحلام في هذه الرسالة الرؤى التي تعرض في النوم الطبيعي وبالكابوس(١) كل حلمٍ غير اعتياديٍ يعرض في غاية الحدة مصحوباً بضيق تنفس وتصوُّر اخطارٍ هائلة متنوعة. وبالسومنمبولزم الكلام والمشي او مباشرة اعمال أُخر في الحلم عند النوم الطبيعي. وقد ذكرت الاحلام بمطلق صورها وانواعها تقريباً في اقدم كتب العالم. فقد ورد في التوراة ان الله كلم يعقوب في حلم عن زيادة المواشي وحذَّر لابان من التعرُّض ليعقوب

---

(١) ويطلق عليهِ ايضاً الجاثوم والجثام والضاغوط

عند انطلاقهِ . حتى ان احلام يوسف ورؤَى فرعون مع شرح اتمامها تشغل قسمًا كبيرًا من السفر الاول من التوراة. وحلم سليمان واحلام نبوخذ ناصر وإخطار يوسف خطيب مريم العذراء لكي يأخذ الولد ويهرب بهِ الى مصر هي فصول من تاريخ الديانة المسيحيَّة . على ان هذه جميعها تعزى الى قوة فائقة الطبيعة فلا مدخل لها في البحث عن صور الاحلام الاعتياديَّة. لان التوراة تفرق بين هذه الاحلام والاحلام الطبيعيَّة التي هي موضوع كلامنا فتشير بكل إيضاحٍ الى صفات الاحلام الطبيعيَّة ففي سفر ايوب ان الشرير "كالحلم يطير فلا يوجد كطيف الليل" وفي سفر المزامير ان الله يحتقر خيال المتكبرين "كحلم عند التيقُّظ" وفي سفر الجامعة ان "الحلم يأتي من كثرة الشغل"

وقال شيشرون ان اعظم حكماء الرومان لم يترفعوا عن الالتفات الى انذارات الاحلام الخطيرة. وروى ان مجلس الاعيان في عصرهِ أنهى الى الامبراطور لونسيوس جونيس ان يبني هيكلاً لاحد الآلهة امتثالاً لحكم سسيليا. ويلمح من كتابات هيرودوتس الاعتقاد في ايامهِ بان للاحلام قوة فائقة فكان الملوك يتنازلون عن عروشهم بسبب الرؤَى والكهنة يحوزون سلطة عظيمة بواسطة الاحلام والمدن تُرَمّ على يد أُناس كانوا أَخربوها ثم انذرتهم الاحلام حسب اعتقادهم فعادوا الى إصلاحها . وهكذا اغتال كمبيز أخاهُ وحمل زركسيس على بلاد اليونان عملاً بالرؤَى. وكان افلاطون وسقراط من جملة من اعتقد بالاحلام حتى ان ارسطو سلَّم بامكان وجود قوةٍ فيها خارقة العادة. وكان لها شأن عظيم عند المصريين والكلدانيين حتى ان مفسر الاحلام عندهم كان رفيع المقام منظورًا بعين التجلة والاحترام ومعدودًا في مصاف الحكماء

والذين نُقل عنهم انهم لم يحلموا قط في حياتهم يسندون قولهم هذا الى عدم تذكرهم حلمًا . لكن حجتهم هذه لا تُعتبر دليلاً على صحة المنقول عنهم اذ من المقرَّر ان الحكم على وجود الاحلام من مجرد تذكرها يعد استقراءً ناقصًا فكم من الحوادث التي لا عداد لها قد عرضت في الرؤَى وانقضت واشتبكت ظواهرها ممتزجةً الى حدٍّ لا يجد عندهُ من يروم تذكرها سوى غموض وانطماس وضرب اخماس لاسداس . فقد يستيقظ الانسان من نومهِ وهو على يقين تامّ بانهُ عرض لهُ في رؤْيا الليل مئات من الاحلام حالة كونهِ لو طلب منهُ ان يتذكَّرها بايضاح لما استطاع ان يذكر منها اكثر من واحد او اثنين فضلاً عن أن الذين يدَّعون بانهم لا يحلمون يستدل من ملاحظتهم وهم نيام على عكس مدَّعاهم فانهم يبدون اشاراتٍ تدل على انهم في حلم بل كثيرًا ما يتكلمون ويجيبون ما يطرح

عليهم من المسائل . ولم يقع اتفاق جوهريٌّ بين الباحثين الاَّ على وجهٍ واحدٍ من هذا الموضوع وهو صفات الاحلام العموميَّة. فان اعتبار الوقت فيها معدوم وسائر التقديرات الحقيقيَّة مشوَّشة .ومن قواعدها التي لا تشذُّ ان لا شيء يبدو فيها غريباً في اثناء وقوع الحلم وما يصدر من التأثيرات عن حوادثها المتجانسة لا يكون منهُ شيء في حالة اليقظة وإن كان فهو زهيدٌ الى حدٍّ أنهُ لا يولد شيئاً من نتائجهِ العادية ولهذا نرى كثيرين من اصدقائنا الذين ماتوا من زمن طويل يظهرون لنا في الحلم ويكلموننا . وحوادث كثيرة قديمة العهد تعرض لنا في الرؤَى على غاية من البسط والصراحة وكثيرًا ما نُحمَل على اجنحتها الى بلادٍ بعيدة عنا بدون ان نقاسي ادنى صعوبةٍ في قطع المسافات البعيدة.وقد نمشي على شفا جرف هار ونرى انفسنا هدفاً لطعنات الاعداء او لخطر الغرق في امواج البحار المتلاطمة ولا نوجس لذلك ادنى خوفٍ . وبما ان الذاتية تكون فيها مفقودةً فلا عجب عندها من تحوُّل النوع او العمر او الاسم او البلاد او المهنة فان فتاةً رأت ذاتها في الحلم مدرجةً في الكفن وهي تصغي الى نواح النادبات حولها فلم يأخذها ادنى اندهاش من رؤية ذاتها ميتة وانها على كونها ميتةً استطاعت ان تسمع حتى انهُ لم يذهلها ايضاً ان حفلة الدفن انقضت بدون ان يُغلق عليها في التابوت ولا ادهشها ايضاً انها ما لبثت بعد ذلك أن حلمت أنها حيَّة تباشر عملها المعتاد.وما نتجاوز هذه الصفات العامة لطبيعة الاحلام حتى تتنوَّع فيها الآراء وتتلون الاقاويل في تضاربٍ وتناقضٍ ودفاعٍ ونزاعٍ بين كثيرين من اهل العلم والعرفان

الكابوس

الكابوس شيء يعرض للانسان في حالة النوم بنوعٍ مخيفٍ جدًّا وهائل الى الغاية ومن ذلك اعتقاد العامة فيهِ بانهُ روحٌ شيطاني يفاجئ النائم ويسومهُ اشد العذاب . فيتقونهُ بالحرز والحجاب.او بتعزيم يمخرق بهِ عليهم احد اولئك المتخذين الشعوذة والدجالة للتحصيل والاكتساب

فعند حدوث الكابوس يقطع الانسان باستحالة التحرُّك او التكلم او التنفُّس مع الشعور بثقل ضغط شديدٍ على صدرهِ واقتراب خطرٍ لا قوة لهُ على دفعهِ.واحياناً يتحقق انهُ هالك فيجمع كل قواهُ ويجاهد عبثاً محاولاً الاستغاثة وطلب المساعدة حتى يتسنى لهُ اخيرًا — بعد جهد العناء وعلى شفار اليأس — ان يصرخ واذ ذاك فان اتفق ايقاظهُ بلمس صديق او صوت صاحبٍ تنقشع عن عينيهِ سحابة الرؤيا وتغادرهُ متهالكاً على

التنفس بملء الغطيط والنخير يكابد مِن التعب اضعاف ما يكابدهُ لو عانى الاشغال الشاقة ساعات بعدد دقائق مدة الكابوس. وان لم يتفق لهُ من يوقظهُ فتوالي صراخهِ ينبّههُ والاَّ فالكابوس يظل يجالدهُ مدة تتراءى لهُ قروناً ودهوراً وان كانت بحدّ ذاتها قصيرة

يروى ان شابًّا تحكَّمت فيهِ اعراض الكابوس الشديدة حتى كانت احياناً ظواهر العارض لا تحول من امامهِ الاَّ بعد انقضائهِ بساعة وهو موغلٌ بالصراخ والانين والابتهال الى الله ووجههُ مغشيٌّ بظواهر الالم الفادح . وحُكي عن فتىً آخر صحيح متعافٍ سليم البنية منذ ولادتهِ أَنهُ أُصيب بعارض الكابوس حينما بلغ الرابعة عشرة وبعد إِذ انتابهُ عدة مرارٍ عزم ابوهُ ان ينام معهُ لكي يوقظهُ عند حدوث العارض ففي احدى الليالي أُوقظ الاب مذعوراً بصوت ابنهِ يدعوهُ بصراخ مخيف يا ابي : يا ابي : اني خائف وشعر الوالد اذ ذاك بيد ابنهِ قابضة بشدة على رسغهِ ثم أُغمي على الصبيّ ومات في الحال وبعد فحص جثتهِ وُجد انهُ مات بداعي وقوف حركة دمهِ وقد نتج عن شلل سبَّبهُ الخوف. وحوادث كثيرة كهذه نراها كافية لأَن نتقدَّم بها الى الاطبَّاء الالباء ونستلفت انظارهم الى البحث في الكابوس بحثاً طبيًّا لعلنا نجد منهم بياناً شافياً وعلاجاً واقياً

ويرى العلامة برايردي بوامون ان للكابوس عوارض مختلفة ففي بعضها يرى المصاب انهُ طائر في الهواء فقد روي عن مصاب كان ينطق في اثناء العارض باصوات غتمة غير واضحة وهو منتفض الشعر مأْخوذ بالرعب والذعر صارخاً في غضون ذلك « يا للعجب العجاب . هو ذا انا طائرٌ على اجنحة الرياح في السحاب . محلق فوق الاحادير والهضاب » وكان يبقى عدة ثوانٍ بعد إِفاقتهِ متصوّراً نفسهُ سابحاً في عباب الهواء . وبعضهم عند ما يصيبهم العارض يطفرون على الارض تطاردهم الاهوال والاخطار . وحسب رأْي هذا الاستاذ ان المصاب بعارض الكابوس من الاولاد يرى نفسهُ واقفاً على شفا جرف هار يكاد يتهوَّر ولا يتقدَّم قليلاً في السن حتى يصير يرى اللصوص تنقب البيت او يخال لهُ انهُ حكم عليهِ بالموت وبالتدريج يأْخذ يتصوَّر قططاً وكلاباً او وحوشاً مفترسة ملقاةً على معدتهِ . « وثقل هذا التصور يكون خانقاً بينما يبعث الدم على الجمود من جرَّاء الخوف » ومع ان ليس كل عارض من الكابوس يرافق بالحركة والصوت فالقارئ يلاحظ ان الكابوس يقرب من نوع « السومنمبولزم » حينما يصرخ المصابُ بهِ او يثب من فراشهِ او يبدي ادنى حركةٍ

السومنمبولزم

يُشاهَد في ابسط هيئاتهِ حينما يتكلم الانسان في نومهِ فيكون نائماً حالماً على ان العلاقة المنقطعة في الغالب بين الاعضاء الخارجيَّة والتصورات العقليَّة تبقى كذلك وقد تُسترد كلها او بعضها ويكثر الكلام في النوم عند الاولاد . وكثيرون من البالغين الذين ليست بهم هذه العادة تراهم يهمسون ويدمدمون في نومهم حينما يفرطون في الاكل او حينما يصابون بحمى او بمرضٍ آخر . اما الحركات الخفيفة فكثيرة الحدوث وكم من الذين يزعمون انهم لا يبدون شيئاً من ظواهر السومنمبولزم تراهم في نومهم يئنون ويصرخون ويسرون ويأتون حركات متنوعة باليد او الرجل او الرأس تختلف باختلاف علاقة التصوُّر العارض على اذهانهم . على ان عوارض السومنمبولزم تتدرَّج من هذه البسائط الابتدائيَّة الى ظواهر حادَّة مخيفة وحوادث معرقلة معقَّدة تفوق التصديق فقد رُوي عن أُناس اقترفوا جريمة القتل في اثناء حدوث السومنمبولزم لهم حتى ان بعضهم أَوذَوا باولادهم وبعضهم حملوا ما في بيوتهم من الامتعة والاثاث وبعضهم احرقوا ما عندهم من المواد القابلة الاشتعال . ويحكى عن نجَّار نهض في الليل وذهب الى حانوتهِ واخذ يبرد منشاراً ولكن ما لبث صوت البرد ان ايقظهُ وكثيراً ما سمعنا عن غرائب السومنمبولزم في حملها النيام على تسلق جدران البيوت واقتحام الاخطار والإقدام على غير ذلك من الاعمال التي لا يستطيع الانسان مباشرتها في حالة اليقظة وقد شاهدت بعيني فتاةً في اللاذقيَّة نهضت من مضجعها وخرجت من المنزل حتى جاءَت باب احد بيوت الجيران فقرعتهُ تكراراً قرعاً عنيفاً ثم رجعت على الاثر الى فراشها ولم تشعر بشيءٍ مما فعلت . وكان يُظن من قبل ان هؤُلاء يعودون من تلقاء انفسهم الى مخادعهم ويضطجعون في فرشهم آمنين ان لم يوقظهم احد في حال شرودهم والواقع ان كثيرين منهم تهوَّروا من الشبابيك وقضي عليهم وآخرين غيرهم اشرفوا على شفا الهلاك وبلغوا جرف الخطر المبين

وقد كُتبت نبذٌ شتى ومقالات متنوعة في اثناء السومنمبولزم ونقل عن سيدة كانت مهتمة بوضع رسالة على سبيل المباراة سعياً وراء جائزة رُتبت عليها فنهضت من فراشها وهي نائمة وكتبت في موضوع لم يخطر ببالها ان تكتب فيهِ شيئاً وهي مستيقظة فحازت السبق ونالت الجائزة . واحياناً تقضى اشغالٌ عقليَّة في الاحلام الاعتياديَّة غير مصحوبة بسومنمبولزم وطالما سمعنا عن خطباء يأتون خطبهم وهم نيامٌ . وفي غربي ولاية نيويورك من اميركا قسيس رأى في نومهِ انهُ وعظ عظةً بليغة على موضوع معين وفي الاحد التالي

ألقى الموعظة فكان لها وقع عظيم في آذان السامعين ولكن اعمالاً كهذه لا تعدُّ سومنمبولزماً ما لم ترافق في الوقت ذاتهِ ببعض الاعمال الخارجيَّة

مقايسة وتمثيل

في الاحلام ثلثة اراء ممكنة ولكل واحد منها انصارٌ يدافعون عنهُ ويعزّزونهُ بالادلة والأقيسة واولها ان النفس لا تكون البتة في سكون تام عند ما تعرض لها الرؤى وان التصورات الحلميَّة انما تطرأُ على الفكر في وقت النوم. ومن اتباع هذا الرأي العلامة رتشرد باكستر ودليلهُ عليهِ قولهُ « منذ تمرَّنت على التذكر لم استيقظ قط مرةً من نومي الاَّ وجدت نفسي منتهياً من حلمٍ فعندي ان الذين يقولون انهم لا يحلمون انما يقولون هذا لانهم ينسون احلامهم »

وقال المطران نيوتن ان اثقل نوم يعرو الجسد لا يقوى على التأثير في النفس ودلَّ على هذا بما بيَّنهُ من ان التأثيرات تكون اقوى والتصورات اوضح في النوم منها في اليقظة وهو نفس ما ارتآهُ الدكتور واتس واسهب الكلام عليهِ في فلسفتهِ وتبعهُ في ذلك السر وليم هملتون وحجتهُ انهُ كان يستيقظ المرار العديدة ويجد نفسهُ انهُ كان في حلمٍ . اما رأي العلامة باكستر فهو حدس لا دليل عَلَى صدقهِ وحجة السر وليم هملتون غير كافية لتأيدهِ لان الثانية او بضع الثواني التي تمضي بين وقت مناداة النائم باسمهِ او لمس جسدهِ لاجل ايقاظهِ واسترجاعهِ وعيهُ تكون كافية لرؤية حلمٍ طويل . فقد نام بعضهم مرة بينما كان احد اصدقائهِ يقرأُ لهُ وقد سمع اول جملة فاستيقظ والقارئ في اول الجملة الثانية وفي غضون ذلك رأى حلماً يستغرق قصهُ كتابةً مدة ربع ساعة على الاقل . وروى الدكتور كربنتر عن واعظ نام على المنبر في اثناء ترتيل المزمور قبل الوعظ ثم استيقظ مذعوراً لزعمهِ انهُ لا بد ان يكون قد نام ساعةً على الاقل وان الشعب كلهُ ينتظر استيقاظهُ لكنهُ افرخ روعهُ اذ عرف من نظرهِ الى كتاب الترتيل الذي في يدهِ انهُ لم ينم اكثر من مدة ترتيل نصف دور لا غير

والراي الثاني في الاحلام ان الانسان لا يحلم الاَّ في انتقالهِ من اليقظة الى النوم او من النوم الى اليقظة وعليهِ مشى بورغام . وقال السر بنيامين برودي في هذا العرض ان لا دليل راهن على صحة هذا الراي بل من المقرر ان الانسان دائماً يئن بل يتكلم وهو نائم غير مستيقظ البتة

والراي الثالث ان لا احلام في النوم الكامل الصحيح او فيهِ احلام قليلة قصيرة

وهذا الراي يرجح على ذينك من عدة وجوهٍ . فمنها ان الغرض من النوم الحصول على الراحة وذلك بان ينقطع فيهِ الدماغ عن اعمالهِ ويعتزل جهادهُ الشاق وقد ظهر بالاختبار انهُ بقدر ما تكون الاحلام مستمرة متواصلة يكون النوم متشوشاً وبالتالي مزعجاً غير مريح وهذا قد اوضحتهُ التجارب الاخيرة وايدتهُ الملاحظات الدقيقة وتاثير الحركة في محاولة تغيير الاحلام بدون إيقاظ النائم — او بايقاظهِ — سواءٌ كان بالصوت او اللمس او الشم او النظر او السمع كلها واحدة على السواء

وقد يستيقظ النائم من حلمهِ متوهماً انهُ لم ينم غير بضع ثوان حالة كونهِ قد قضى ساعات عديدة على ان شعورهُ بطول وقت نومهِ يكون بالنسبة الى ما يتذكرهُ من حلمهِ ويمثلهُ من صور الحوادث التي رآها . وهذا الحكم لا يتناول النوم الثقيل الذي بدون احلام الذي ينتج عن امتلاء دموي او يصدر عن التثقيل على المعدة بالاكل او يكون مسبباً عن فرط اعياء او عن سهر طويل وانما يصدق على النوم الصحيح الذي يتمتع بهِ الاصحاء من اصحاب الاشغال السالمين من الامراض

واهمُّ سؤال في هذا الموضوع هو هل يستطاع تفسير الاحلام بموجب قواعد طبيعيةٍ بدون الاستناد على افتراض الماديين او زعم اهل التصوُّر الخرافي . فمن المعلوم ان لا شيء من الظواهر الطبيعيَّة بالغ نهايتهُ من التحليل ومستوف حاجتهُ من التعليل والتفصيل وانما يتوسَّع العلماء في كلمة تفسير فيطلقونها على كل رأي يطبق الظواهر بقدر الامكان على النواميس الطبيعيَّة او يدرجها في سلك الاشياء الطبيعيَّة بحيث تظهر انها من ملحقات بعض القواعد العامة . فالكهربائيَّة مثلاً لم تدرَك حقيقتها تماماً ولم تعلَّل بعد تعليلاً شافياً ولكن كيفيَّة فعلها معروفة عندنا حتى ان اعظم اسرارها المذهلة العالم بالطريقة التلغرافيَّة واضحة لدينا وضوح فعل البخار في جر القطر وتمشية السفن

وفي البحث بالمقايسات نجد غرضنا منها في العقاقير كالافيون والالكحول وغاز الحامض النيتروس والحشيش وغيرها . وفي تجارب دي كنسي في الاحلام قبل دخولهِ في النوم وبعد خروجهِ منهُ بواسطة الافيون ظهر أن نومهُ كان مصحوباً باحلام لا تختلف في صورها عن احلام النوم الطبيعي أما تأثير الالكحول في تأليفهِ صورة حلمية في الذهن بينما تكون المشاعر غير متوقفة بالنوم فهو لسوء الحظ معلوم عندنا . وعند ما يتوغل الانسان في السكر تضعف الارادة ويعبث الخلل بنظام القوى العقليَّة فيتعطل الحكم وتتمثل التصوُّرات باشكال غريبة مخيفة بقوة التهيج الناشىء عن الانفعالات السريعة في العقل

حتى يبلغ السكران حدّ الجنون وينتهي الى خمول تام وسباتٍ عميق وحينما يصحو من سكرهِ فتذكُّرهُ لما فعل يكون مبهماً وغامضاً كتذكُّر النائم لاحلامهِ وكذا يقال عن عدم استطاعتهِ قياس سرعة الوقت وتعذُّر ادراكهِ تضارب التصورات وصعوبة وصف الافعال الادبيَّة واستحالة الاطلاع على مفاد الكلام وقوتهِ في حالة السكر كما في النوم . وكلٌّ من الايثير والكلوروفرم وغاز الحامض النيتروس اذا أُخذ منهُ ما لا يكفي لاحداث السبات يسبّب اعراضاً متشابهة فقد روى صاحب هذه المقالة عن نفسهِ انهُ أُصيب في الحرب الاخيرة في اميركا بكسرٍ اضطرهُ الى عمليَّة جراحيَّة فنصح لهُ الاطباء ان يجرع مقدارًا من الايثير وكان تأثيرهُ فيهِ انهُ بعثهُ على غيبوبة التى فيها خطبةً في الغاء الاسترقاق وضمنها شيئاً من الكلام البذيء القبيح ثم زاد فيهِ الذهول حتى صار ينشد ترانيم روحيَّة ويودّع الحاضرين من الاطباء والجراحين الذين انذروا بقرب موتهِ ولما صحا كان تذكرهُ لهذه الافعال مشابهاً لمن يحاول تذكر احلامهِ بعد استيقاظهِ

اما تأثير الحشيش فقد اهتم كثيرون من العلماء في البحث عنهُ وأحسن ما جاء في تقاريرهم بشأنهِ كلام لثيوفيل غايتر وقد اقتبسهُ اكثر الخائضين الآن في عباب هذا الموضوع فانهُ جرَّب الحشيش في نفسهِ وبعد ما تحكَّم فيهِ تأثيرهُ خيل لهُ أن اهداب عينيهِ بلغت حدًّا فائقاً في الطول واخذت تلتوي مضفورةً كخيوطٍ ذهبيَّة حول بكرات من عاجٍ ثم انقذفت ملايين من الفراش تتطاير امامهُ بنور مضطرب وهي تخفق باجنحتها كالمراوح واكثر من خمس مئة ساعة كبيرة اخذت تدق الوقت بأصوات هي غاية في حسن الايقاع وظهرت لهُ في الغرفة حيوانات متنوعة الاشكال تطفر وتقفز وتروح وتجيء وتراءت لهُ كل الوحوش الممسوخة وعرضت قدامهُ كل ظواهر الكابوس وتمثلت أمامهُ كل الغيلان الحلميَّة وحسب تعديلهِ كان ينبغي لهذه الحوادث التي لم يُذكر من وصفها الَّا القليل ان تستغرق اكثر من ثلاث مئة سنة لانها جرت متوالية وهي كثيرة لا عد لها حتى ان تقدير الوقت فيها كان متعذِّرًا على انهُ لما صحا وجد انهُ لم يقضِ في عراك هذه الطوارىء الَّا نحوًا من ربع ساعة. فهذه العقاقير تؤثر فقط في المجموع العصبي والدماغ فهي عوامل طبيعيَّة تفعل بموجب قواعد طبيعيَّة ومع ذلك لها من التأثيرات ما للاحلام في ما سوى انها لا تستأثر في كل حالة بالقوة المحركة ولا تقطع اعصاب الحسّ عن مجموع الحواس كما تفعل الاحلام غالباً

ستأتي البقيَّة

القرن التاسع عشر

بقلم حضرة يوسف افندي بشتلي (١)

القرن التاسع عشر آخر ابناء الدهر وقد استحوذ بحق الارث على كل ما كان للقرون السالفة من خير وشر ونفع وضر وهو كالوارث الامين الذي يسعى في اصلاح ما ورثهُ وترقية شأنهِ حتى اذا حان لهُ ان يسلم الميراث لورثتهِ وجدوا انهُ قد اتسع نطاقاً وازداد اضعافاً. ولا يصح ان يطلق اسم الشباب على قرننا الحالي بعد ما مضى عليهِ سن الكهولة ودخل في الشيخوخة والهرم ولم يبقَ الاَّ سنوات قلائل حتى ينضم الى ابائهِ ويمسي في خبر كان بعد ان يولد لهُ الوريث الوحيد الذي سيخلفهُ في ملكهِ

ومرادنا ان نبحث الآن بوجه الايجاز عن التقلبات التي طرأت على هذا القرن والنعيم الذي وصل اليهِ منذ تربعهِ في منصة الملك الى يومنا هذا ونفتش في سجلاتهِ لنعلم ما اذا كانت اعمالهُ تذكر فتشكر او تذم فترذل . وما سيورثهُ لخلفهِ حينما يقضي نحبهُ في منتصف الليلة الحادية والثلاثين من شهر دسمبر سنة ١٩٠٠ عند ما ينادى على رؤوس الملا بولادة وريثهِ القرن العشرين ويرحِّب الناس طرًّا بهذا المولود الجديد ويدعون لهُ بالبركات والخيرات ويوارون اباهُ في اللحد مرددين مدح حسناتهِ آسفين على فراقهِ

اما شيخنا الجليل القرن التاسع عشر فقد مرت عليهِ السنون وهو سائر سيرًا حثيثاً في سبيل الارتقاء وقد امتاز على العصور السالفة بتوطيد دعائم العمران ونشر رايات التمدن فأرانا من قوة البخار عجائب ولم نكد نفيق من انذهالنا بالمنافع الجمة التي نجمت عن الآلات البخاريَّة حتى جاءنا بالكهربائيَّة في شخص اديسون الشهير فأدهش وابدع واخضع وميض البرق تحت سلطتهِ. وقام مورس فمد اسلاك الكهربائيَّة على البطاح والقفار وامرها فنطقت بفصيح الاشارة عما تكنهُ الصدور . وتبعهُ فيلد فارسلها تحت قاع البحار وربط ممالك الارض بالعروة الوثقي واحكم الصلات بين مشارق الارض ومغاربها ثم استخدمها غيرهم لانارة البيوت بنور باهر ولادارة الآلات العظيمة واجراء الاعمال الجسيمة. والحق يقال ان شيخنا الوقور قد خطا نحو الارتقاء خطوة لم يعهد لها مثيل عند اسلافهِ وشاهد في ايام مجدهِ امورًا لم يحلم بها اهل العصور الغابرة . وما الكهربائيَّة مع

---

(١) ملخصة من خطبة لجناب القس جفن الامركاني تلاها في جمعية اتحاد الشبان بالقاهرة مساء اول نوفمبر سنة ١٨٩٢

آياتها الباهرات سوى مثال واحد من امثلة كثيرة تبرهن بأجلى بيان على فضل هذا القرن وجلالة قدرهِ

وقد ابتدأَ قرننا هذا والناس يغزلون بالايدي وينسجون بالارجل فلم يبلغ سن الرشاد حتى اعاضهم عن ذلك بالآلات ثم سلط عليها قوة البخار فاراحهم من مشاق العمل واذاقهم حلاوة الراحة . وكان الناس والقرن حديث السن قانعين بما تخرج لهم ارضهم من الاثمار والخيرات غير طامعين بجنى البلدان البعيدة فلم يشبَّ حتى مهد لهم السبل فتبادلت سكان الارض غلاَّت بلادهم ومصنوعاتهم طائرة على اجنحة البخار فوق السهول والقفار والجبال والبحار

وقد ورد في تاريخ الانكليز ان اللورد كامبل احد اغنيائهم قطع في اوائل هذا القرن المسافة من لندن الى ادنبرج في ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ فاعتبرها الناس وقتئذٍ معجزة من المعجزات ونصح لهُ اصدقاؤُهُ ان لا يخاطر بنفسهِ مرة أُخرى لان السرعة الزائدة ومقاومة الهواء ينشأُ عنهما ارتجاج في المخ ينتهي بالموت الفجائي. فما يكون قول هؤُلاء اليوم عند ما يشاهدون قطار السكة الحديد يقطع تلك المسافة عينها في ثلاث ساعات فقط . او ماذا يقولون لو بُعثوا احياء وسافروا في الصيف الماضي مع الالوف والربوات من مدينة نيويورك الى معرض شيكاغو ينهبون الارض نهباً على معدل ١٠٠ ميل في الساعة الواحدة .وكان السعاة في واقعة وطرلو الشهيرة سنة ١٨١٥ ينقلون اخبار الحرب الى لندن على اسرع ما يمكن اي في ثلاثة ايام ونصف. وفي سنة ١٨٨٢ اثناء ضرب الاسكندرية لم يكد يمضي بضع دقائق من اطلاق المدفع الاول حتى طارت الانباء عنهُ الى جميع انحاء اوربا . وممَّا هو من الغرابة بمكان ان ضرب الاسكندريَّة ابتدأَ نحو الساعة الثامنة صباحًا ولم تأتِ الساعة السادسة من ذلك الصباح في مدينة نيويورك بامريكا حتى انتشر موزعو الجرائد في شوارعها يذيعون خبر ذلك. ولما كان الفرق في الوقت بين الاسكندرية ونيويورك نحو ست ساعات فتكون الاخبار قد انتقلت على اجنحة البرق من الاسكندريَّة الى نيويورك وتداولتها ايدي محرري الجرائد وجمع صنَّاع المطابع حروفها وطبعت منها المئات والالوف من النسخ ووزعت على القراء قبلما مرَّ اربع ساعات من الزمان اي قبل ما دلَّ عقرب الوقت عندهم على الساعة الثامنة بساعتين

وهاك مجمل الفرق بين حالة قرننا في نعومة اظفارهِ وبين حالتهِ في سنيهِ الاخيرة. فانهُ شاهد وهو في السابعة من عمرهِ اول مركب بخاري يمخر عباب الماء . ولمح في الثلاثين

اول قطار ينساب كالافعوان في وسط القفار يقلُّ المئات من الانفس وراقب امتداد الخطوط الحديديَّة تدريجاً على وجه البسيطة حتى بلغت منذ ثلاث سنوات ٣٦٠٠٠٠ ميل وهي لو امتدت على خط مستقيم حول الكرة الارضيَّة لاحاطت بها ١٥ مرة . ونظر في الرابعة والاربعين من عمرهِ اول رسالة تلغرافيَّة تطير على جناح البرق بين مدينتي وشنطن وبلتيمور وهذا نصها « انظروا ما اعظم اعمال الخالق عزَّ وجلَّ » . وما زال التلغراف يرتقي في ايامهِ حتى تمكن الناس حديثاً من ارسال ٧٢ رسالة مختلفة على سلك واحد في وقت واحد . وقد تمكن اليوم قطار السكة الحديد اثناء السير السريع من ايصال الاخبار تلغرافيًا الى قطار آخر سائر على خط آخر في الجهة المقابلة او الى محطة تبعد عنهُ الوفًا من الاميال . وبلغهُ في الثامنة والخمسين من عمرهِ ان اميركا ارتبطت باوربا بالاسلاك البرقيَّة ممتدة تحت قاع المحيط وأُصغي الى اول رسالة برقيَّة سارت بينهما ونصها « اوربا واميركا قد اتحدتا — المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة » . وبعد ذلك بثلاث سنوات امتد خط آخر بين ثغر الاسكندريَّة ومالطة طولهُ ١٣٣٠ ميلاً ولم تزل الشركة التلغرافيَّة الشرقيَّة الى يومنا هذا تستعمل هذا الخط فهو اقدم خط برقي مستعمل الآن في العالم

ولا مشاحة ان التلغراف والسكك الحديديَّة كان لهما اليد الطولى في ترقي الانسان وانتشار العمران وتنظيم الهيئة الاجتماعيَّة وتوطيد الالفة والتعاون وبث نور المعارف والعلوم . اما السفن البخاريَّة فمن اعظم مخترعات عصرنا واهمها وقد ظُنَّ اولاً انهُ لايمكن ان تقطع البحر لانها لا تسع ما يكفيها من الفحم للطريق ثم ثبت فساد هذا الظن وصارت تقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي في اقل من اسبوع

اما فضل قرننا الحالي في تقدم العلوم وتعميم المعارف فمما لا يختلف فيهِ اثنان ولا يمكن استيفاء ذلك الاَّ في المجلدات الضخمة بل ان اختراعات عام واحد واكتشافاتهِ وترقية المعارف فيهِ يقتضي وصفها مجلداً كبيراً فمن العبث الخوض في بحار علوم هذا القرن باجمعها ولذلك نكتفي بالالماع اليها . ولاريب ان للطباعة اليد الطولى في انتشار العلوم ورفع منارها وانهُ اذا وضعنا عجائب الدنيا السبع في كفة ميزان واختراع الطباعة في الكفة الاخرى رجحت هذه عن تلك . وبعد ان كانت آلة الطباعة في اوائل هذا القرن لاتطبع اكثر من ٢٥٠ صحيفة في الساعة ويقتضي لادارتها رجلان وصبي اصبح ولد واحد كافياً لمناولة الآلة طرف درج طويل من الورق فتقطعهُ وتطبع منهُ ٣٦٠٠٠ صحيفة

من صحف الجرائد الكبيرة وتلصقها وتطبقها وترتبها صفوفًا في ساعة واحدة من الزمان ثم تحملها القطارات والسفن البخاريَّة وتوزعها في اقصاء المسكونة فيقرأُها الغني والصعلوك ويجني فوائدها الكبير والصغير

شب قرننا فشاهد القوي يستعبد الضعيف والغني يبتاع الفقير والوجيه يسترق المستضعفين فلم ينتصف عمرهُ حتى اثار نار الحرب وراءَ الحريَّة والمساواة اثباتًا بان جميع بني البشر من دم واحد . وكانت حكومات المالك السابقة تدوس رقاب رعيتها وتحكمها بالقوة والجبروت اما عصرنا فجعل الرعيَّة تحكم نفسها بنفسها وتدير ولاة امورها بحكمة افرادها

شب قرننا ولم يبلغ اشدهُ حتى سمع الناس يقولون على رؤُوس الاشهاد ويخطبون في كل نادٍ ان الباري سبحانهُ خلق الانسان ووهبهُ حقوقًا مقدسة يتمتع بها. وقال علماؤهم ان تلك الحقوق تشمل الحياة والحريَّة وطلب السعادة والسعي وراءَ الراحة الخ . وجاهروا بهذه الاقوال وهم يسترقون بني جنسهم ويستعبدون اخوانهم ويسلبونهم حريتهم ويتاجرون فيهم كالمتاع ويتحكمون في اجسادهم وارواحهم كتحكمهم في الحيوانات البكم . ولكن عصرنا لم يطق على هذا الظلم صبرًا فرفع نبراس الحق على منارة العدل والمساواة ودبت الحمية في صدور الاحرار فاشهروا حربًا عوانًا على الذين اصروا على العناد وقام حاكم السيف يقضي بينهم في نصف الكرة الغربي فبلغ صليلهُ كل فج وقوّض اركان الاستعباد والاستبداد بعد ان اذاق نحو مليون من نخبة شبان تلك الولايات كاس المنون فشيد على ارماسهم قصر الحريَّة وقسطاس العدل وسطَّر بدمائهم على جبين الدهر : " ان الله خلق جميع الناس من دم واحد احرارًا متساوين في الحقوق "

ابتدأ عصرنا ولم تكن بقعة خالية من العبيد وكانت اسواق التجارة بهم رائجة في روسيا وهنغاريا وبروسيا والنمسا واسكتلندا وفي جميع المستعمرات الانكليزيَّة والفرنسويَّة والاسبانيَّة . وكان يأتي الى قارة اميركا كل سنة ما ينيف على ٧٤٠٠٠ نفس من الرقيق يحملها اليها اناس من امم اوربا المتمدنة. وكان عدد الذين يموتون منهم على الطريق لا يقل عن ٣٠٠٠٠ نفس. فاصبحنا اليوم والحمد لله لا نجد بهمة انصار الحق عبدًا واحدًا في جميع اراضي الامم المتمدنة بل نرى الجميع متمتعين بكمال الحرية وما الفضل في ذلك الَّا لرجال عصرنا الحالي

وُلد قرننا وكانت منزلة النساء في اعين الرجال لا تقلُّ كثيرًا عن منزلة الاماء

والعبيد لابل عن منزلة الحيوانات الدُنيا كأَن المولى سبحانهُ لم يخلقهن الأَ لخدمتهم وهاك مثال بعض ما كان يعلن عنهنَّ في الجرائد الانكليزيَّة في اوائل هذا القرن. قالت مجلة هود الانكليزيَّة في عددها الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨١٤ : " عرضت امرأَة جميلة الصورة رشيقة القد وهي زوجة چون هول بعد اقترانهِ بها بشهر وبيعت بالمزاد العمومي بمبلغ شلنين ونصف وبيع المقود الذي أُتي بها فيهِ بنصف شلن وقدرت عوائد المرور بپني واحد وعوائد الاقامة بثلاثة بنسات " فتامل . وقد حسب بعضهم سنة ١٨١٥ ان عدد الزوجات اللواتي عرضنَ للبيع كالمواشي في جهة واحدة من بلاد الانكليز في سنة واحدة ٣٩ امرأَة . اما الآن فنفتخر والحمد لله بان والداتنا وزوجاتنا واخواتنا لهن الشأن الاعظم في نظام الهيئة الاجتماعيَّة وفي ارضاع البان التهذيب وتثقيف عقول الصغار وتوطيد دعائم العمران

شاهد قرننا وهو طفل كثيرًا من الخرافات والخزعبلات وعاين ما لا يحصى من السحرة والعرافين ورأَى مرأَى العين الوفًا يذهبون ضحيَّة الاوهام والجهل فكانت حياة الارنب في اعين الانكليز اثمن من حياة الرجل حتى اذا اقدم احدهم على قتلها عوقب بالاعدام. وكان عدد الجرائم الكبيرة عندهم بحسب شرائعهم ٢٢٣ جريمة جزاؤُها كلها الاعدام حتمًا. من ذلك ان من يتلف شيئًا في قنطرة وستمنستر يشنق ومن يظهر في الشوارع بزيّ غير زيهِ يُشنق وهذا جزاءُ من يقلع صغار الاشجار او يصيد ارنبًا او يسرق متاعًا لا تقل قيمتهُ عن خمسة شلنات او يحرر كتابًا بقصد الاحتيال والاختلاس او يعود من منفاهُ قبل انتهاء مدتهِ. فهذه الذنوب الطفيفة وكثير نظيرها كانوا يعاقبون مرتكبيها بالشنق . ومن هذا القبيل ما ذكرهُ احد مؤَرخيهم وهو ان عدد المحكوم عليهم بالاعدام في وقت من الاوقات بلغ ٥٨ شخصًا ومن جملتهم صبي لا يزيد عمرهُ على العشر سنوات . فهل بعد ذلك من ينكر فضل تقدم عصرنا وهل من يقدّر قيمة الحريَّة (لا سيما حريَّة الافكار والاديان) والعدل والمساواة حق قدرها التي يتمتع بها الجميع الآن. وهل من يطلب اقامة الحجة والبرهان بعد ان بزغت شمس التمدن والمعارف واشرقت بأَشعتها على جميع سكان الارض بالسواء فأَنعشت الضعيف وبددت ظلمات الجور والعدوان وازالت غشاوة الجهل والغباوة ورفعت منار الحق والانصاف وأَحيت العظام في رمسها فتحرر العبد واستيقظ الغافل وتشجع الجبان وذاق الجميع لذة الحريَّة فطربوا من عذوبتها وتمسكوا بأَذيالها ولا تمسك الغريق بحطام السفينة وهيهات ان يتركوها ويرجعوا الى

الوراء. ولا زالت سطوتها تمتد ودائرة نفوذها تتسع وتظلل بظلها الظليل الالوف والربوات ممن كانوا يخبطون في دياجي الظلمات ويرتطمون في اوحال الجهل فيجدون في ربوعها السعادة الحقيقيَّة والراحة ورغد العيش . نعم لا ينكر ان دول اوربا لا تزال تحشد الجيوش الجرارة وتكثر من آلات الحرب والقتال وتقيم القلاع وتبني المدرعات والجرائد تهددنا بقرب انتشاب نار الحرب واحتدام سعيرها واهراق دماء الملايين من الابرياء وحلول الخراب والدمار لكن العقلاء يجاهرون ويؤكدون بان قرننا الشيخ الجليل لا يسمح بحدوث شيء من هذا في ايامهِ الوجيزة بل ما برح يحاول نزع السلاح وتوطيد السلام ونشر لواء الاتفاق والاخاء بما بقي فيهِ من رمق الحياة ولنا الامل الوطيد بفوزهِ في سعيهِ الحميد فيأتي بعمل خطير لم يسبقهُ اليهِ غيرهُ ويخلد لهُ ذكرًا بين العصور لا تمحوهُ كرور الايام وتوالي الاعوام قبلما يودعنا الوداع الاخير

وكان بودي ان آتي قبل ختام هذه الخطبة بالشرح الوافي عما تم في هذا القطر من الارتقاء الظاهر والتقدم الباهر مدة قرننا هذا لكن ذلك اشهر من ان يذكر وهو ظاهر لكل ذي عينين ولا ينكرهُ الاَّ كل مكابر جحود ولنا عليهِ كل يوم الف شاهد واننا نسأل المولى الكريم ان لا ينتهي قرننا هذا حتى تكون بلادنا قد بلغت ما نتمنَّاهُ من الارتقاء انهُ على كل شيء قدير

◆

علي باشا مبارك

ذكرنا في الجزء الماضي من المقتطف ترجمة المرحوم علي باشا مبارك من حين كان ولدًا يتعلم مبادئ القراءة والكتابة الى ان توفي المرحوم سعيد باشا سنة ١٢٧٩ للهجرة (١٨ يناير سنة ١٨٦٣) وقام بالامر بعدهُ حضرة الخديوي الاسبق اسمعيل باشا . فلما تولى مسند الحكومة المصريَّة عيَّن صاحب الترجمة لنظارة القناطر الخيرية ولم تكن تقفل الى ذلك العهد ظنًّا انها غير متينة فلا تحتمل ضغط الماء اذا أُقفلت. وكان النيل قد تحول اكثرهُ الى الفرع الغربي فقلَّت المياه التي تجري صيفًا في الترع الممتدة من الفرع الشرقي وقلَّت الاطيان التي تزرع صيفًا حول ذلك الفرع . وذاكرهُ الخديوي اسمعيل باشا في هذا الامر فاشار باقفال القناطر الغربيَّة لتحويل الماء الى الفرع الشرقي حاسبًا ان من ذلك نفعًا محققًا ولا يحسن ترك النفع المحقق خوفًا من الضرر الموهوم. فاستصوب الخديوي

رأيهُ وامر باقفال القناطر الغربيَّة " فصارت تقفل وحصل من ذلك ما لا مزيد عليهِ من المنافع العموميَّة " واختلت بعض الاقواس الغربيَّة القريبة من البر الغربي فأُحيطت بجسر من الخشب فنشأَت حولها جزيرة من الرمل حفظتها ولم يكن خللها مانعاً من إقفالها كل سنة . ثم حفر رياح المنوفيَّة فانشأَ قناطرهُ ومبانيهُ على ما هي عليهِ الآن

وعُين نائباً عن الحكومة المصريَّة في المجلس المشكل لتقدير الاراضي الخاصة بشركة ترعة السويس فرسم الرسوم اللازمة لذلك وحُلت المسأَلة على احسن حال. ونال حينئذٍ رتبة المتمايز والنشان المجيدي من الدرجة الثالثة ونيشان اوفيسيه لجيون دونور

وسنة ١٢٨٤ جُعل وكيلاً لديوان المدارس تحت رئاسة المرحوم شريف باشا ثم انتدبهُ الخديوي اسمعيل باشا للسفر الى باريس في مسأَلة ماليَّة فزار مدارسها واطلع على كتب التدريس وجداول الدروس ونال بعد عودتهِ رتبة ميرميران وأُحيلت الى عهدتهِ ادارة السكك الحديديَّة المصريَّة وادارة ديوان المدارس وديوان الاشغال العموميَّة ثم نظارة عموم الاوقاف فقام بهذه المهام كلها احسن قيام ووسع نطاق السكة الحديد وبنى لها المباني الكثيرة ونقل المدارس من العباسيَّة الى سراي درب الجماميز رفقاً بالتلامذة وجعل فيها ديوان الاوقاف وديوان الاشغال فسهل عليهِ القيام بها قال " وكانت كثرة اشغالي لا تشغلني عن الالتفات الى ما يتعلق باحوال التلامذة والمعلمين فكنت ادخل عندهم كل يوم بكرةً وعشيًّا عند غدوي من البيت ورواحي واعملت فكري في ما يحصل بهِ نشر المعارف وحسن التربية ". ثم نظم المدارس الاهليَّة وانشأَ مدارس مركزيَّة في بعض مدن القطر كاسيوط والمنيا وبني سويف وبنها وانشأَ في القاهرة مكتب القربيَّة ومكتب الجماليَّة ومكتب باب الشعرية ومكتب البنات بالسيوفيَّة واصلح المكاتب القديمة واخذ جانباً من نفقات هذه المدارس من اباء التلامذة والجانب الآخر من ريع الاوقاف الخيريَّة ومن اطيان الوادي بمديريَّة الشرقيَّة ومن بعض الاملاك التي آلت الى بيت المال قال "وكان القصد تعويد الناس على الانفاق على اولادهم بالتدريج حتى لا يبقى على الحكومة الاَّ ما يختص بالمدارس الخصوصيَّة كمدارس الهندسة والطب والادارة ونحوها " واما باقي المدارس فيكون الانفاق عليها من الاهالي ومن الاوقاف والاملاك المشار اليها

وقد طالما سمعنا صاحب الترجمة يتمنى ان يكون للمدارس املاك موقوفة عليها يكفيها ريعها حتى لا تعتمد على ميزانيَّة الحكومة المعرَّضة للتغيير والتبديل بتغير الاحوال

وغنيٌّ عن البيان ان المدارس نجحت في ايام نظارتهِ وخرج منها جم غفير من

الشبان الذين تقلدوا المناصب الاميريَّة وانتفعوا ونفعوا . ثم انشأ مدرسة دار العلوم الشهيرة واختار طلبتها من الجامع الازهر ليستعدوا فيها للتعليم في المكاتب الاهليَّة · والمكتبة الخديويَّة التي جُمعت فيها الكتب المتفرقة في المساجد ودور الحكومة فنجت من ايدي الضياع وتطرُّق الاطماع . وهذان الاثران الجليلان اي مدرسة دار العلوم والكتبخانة الخديويَّة من اعظم آثار الفقيد ولو لم يكن لهُ غيرهما لكفى كلٌّ منهما لتخليد ذكرهِ وايضاً فقد اعاد الاوقاف المدرسيَّة الى ما وُقفت عليهِ وهو تربية الصغار وبث التعليم والتهذيب " فحييت هذه المآثر بعد موتها وعادت ثمراتها بعد فوتها "

ثم صرف همَّهُ الى تنظيم القاهرة . والظاهر ان الخديوي اسمعيل باشا كان شديد الميل الى تنظيم المدن وانشاء القناطر وما ماثل من الاعمال الهندسيَّة فكثرت اشغال صاحب الترجمة جدًّا تنفيذًا للاوامر الخديويَّة ولا سيما في اعداد الاحتفال بفتح ترعة السويس وقد قام بذلك احسن قيام فقلدهُ الخديوي النشان المجيدي من الطبقة الاولى واهدى اليهِ امبراطور النمسا نشان الغران كوردون وامبراطور فرنسا نشان كوماندور وملك بروسيا نشان غران كوردون. ثم اختلف هو واسمعيل باشا صديق ناظر الماليَّة على ضم دخل السكة الحديد الى الماليَّة ففُصل عن ديوان السكة الحديد والمدارس والاشغال والاوقاف في قليل من الزمن ونسب فصلهُ الى وقيعة اسمعيل باشا صديق بهِ. وبعد شهرين من الزمان صدر الامر الخديوي بجعلهِ ناظرًا لديوان المكاتب الاهليَّة وأُمر برسم الرسوم اللازمة لتجديد المكاتب في مدن الارياف. ثم أُحيلت عليهِ نظارة الاوقاف وديوان الاشغال. وبعد قليل احيلت نظارة هذه الدواوين على دولتلو البرنس حسين باشا كامل نجل الخديوي فاقام صاحب الترجمة معهُ مستشارًا . ووُشي بهِ بعدئذٍ بان كتابهُ نخبة الفكر في تدبير نيل مصر مشتمل على ذم الحكومة الخديويَّة وتقبيح سياستها ففُصل عن خدمة الحكومة

وقد قصَّ علينا قصة هذا الكتاب مرارًا ولم نسمع ان وزيرًا من الوزراء كان يجزع من ملكهِ كما جزع صاحب الترجمة من الخديوي الاسبق على ما يعهد فيهِ من الشجاعة الادبية التي حملتهُ على تقرير الحقائق في ذلك الكتاب النفيس ولم يكن هذا الجزع خاصًّا بهِ بل كان شاملاً كل حاشية الخديوي حتى اقرب المقرَّبين اليهِ على ما رواهُ لنا صاحب الترجمة مرارًا. ومع ذلك تمكن بعد قليل من استرضاء الخديوي فانعم عليهِ بالنشان المجيدي وكان قد تقلب في مناصب شتى اكثرها متعلق بديوان الاشغال

وسنة ١٨٧٧ للميلاد تقرّرت هيئة الحكومة المصريّة على اسلوب جديد وانشئ مجلس النظار برئاسة دولتلو نوبار باشا (في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨) وجُعل صاحب الترجمة ناظرًا للاوقاف والمعارف فاخذ يبذل الجهد في بناء المدارس الكبيرة كمدرسة طنطا ومدرسة المنصورة وتكثير المكاتب الصغيرة وإعداد ما يلزم من الكتب وسائر ادوات التعليم واعتنى بامر الاوقاف واصلح مدارسها

وفي ٢٦ من شهر يونيو سنة ١٨٧٩ صدر الامر السلطاني بفصل الخديوي اسمعيل باشا وتولية اكبر انجالهِ المغفور لهُ توفيق باشا فصدر امرهُ الى دولتلو رياض باشا بتأليف نظارة يكون رئيسًا لها وناظرًا للداخليَّة فاختار صاحب الترجمة ناظرًا لديوان الاشغال

وقد زرنا القطر المصري في ذلك الحين وقابلنا صاحب الترجمة وذاكرناهُ في مواضيع شتى علميَّة وادبيَّة وكتبنا عن القطر حينئذٍ ما نصهُ

ليس من ينكر ان كل بلادٍ ابقى الله في اهلها بقيةً للنجاح والترقي ترتقي وتزهو اذا حافظت حكومتها على الاستقامة واعتمدت على العدل وقصدت خير الرعيَّة واخلصت الحب والخدمة للوطن . فاذا تدبَّر العاقل احوال مصر الجارية وقاس حاضرها بماضيها وقابل منهجها بمنهج غيرها من الممالك المرتقية ذرى النجاح والمجد او الهابطة في دركات الحطة والخسف فلا ريب انهُ يحكم لها برغد العيش وسعادة المستقبل ما دامت على هذا المنهج. وشواهدنا على صدق ذلك كثيرة نذكر منها خمسة تحققناها بانفسنا وهي

اولاً تيقظ حكام مصر وشعورهم بما هو واجب عليهم للرعيَّة وتحققهم ان عزَّهم باعزاز وطنهم وذلهم باذلالهِ. فاسمع ما قالهُ سموُّ الخديوي توفيق الاول لما تشرفنا بالمثول بين يديهِ في هذه الاثناء "ما ذا يبقى للانسان غير الذكر الجميل في هذه الارض فكم قام قبلي ممن هم اسمى مني وادنى وماذا ابقوا غير ذكرهم. فانا ولاَّني الله رعاية هذه الامَّة فواجباتي السهر عليها وصون حقوقها وبذل الجهد في ما يزيد راحتها وثروتها ومعارفها فهي مني وانا منها وعزها عزي وذلها ذلي وانا متوكل عليهِ تعالى ان يحسن نفعي لوطني ويبقى لي الذكر الجميل عند رعيتي" الى غير ذلك من الاقوال التي حركت اعمق عواطفنا واثارت الدمع في اعيننا لما شفَّت عنهُ من المحبة الوطنيَّة وكرم الشيمة والحميَّة. ومثل ذلك كلام نظَّارها وعلمهم بواجباتهم وقربهم من الناس وحسبانهم الدعة زينة واستجلاب قلوب الرعيَّة فخرًا

والثاني الاساس الوطيد الذي اقيمت عليهِ ادارة مصر الآن فاننا لما سألنا وزيرها الاكبر صاحب الدولة رياض باشا عن المعارف هناك وما يؤمل لها من النجاح في

المستقبل اوضح لنا باجلى بيان المنهج الذي نهجتهُ حكومة مصر حتى تخلصت من ارتباكها والاساس الذي وضعتهُ لضبط ادارتها ونشر المعارف في بلادها ولا يسعنا بسط ذلك هنا ولكن من يتأمل في الاموال العظيمة التي قُطِعت هذه السنة لتنشيط المعارف عدا عن الاموال التي قُطِعت للاصلاحات المتعددة الانواع يبشر مصر بنجاح قريب

وثالثاً تخفيف كرب الفلاَّح الذي عليهِ جل اعتماد مصر كما لا يخفى. وهذا قد صار اشهر من ان يذكر . ومما يحسن سوقهُ هنا انا كنا مارين في شارع من شوارع طنطا فسمعنا رجلاً يدعو على حكومة مصر الآن بالويل والخراب لانهُ شاهد في ايامها مالم يخطر لهُ على بال وهو ان الفلاح صار يشمخ عليهِ فلا يدفع لهُ ربًا في المئة عشرين مع انهُ كان قبلاً يتذلَّل لهُ حتى يأخذها باضعاف ذلك. ولارتفاع الضنك عن الفلاَّح صرت تراهُ يحسب نفسهُ من البشر فيجول في شوارع القاهرة مستنشقاً نسيم الحريَّة متمتعاً بما يحق للانسان ان يتمتع بهِ وهذا يستغربهُ اهل القاهرة انفسهم

ورابعاً عدم الانشقاق المذهبي بين اهلها فان اعجب ما يتعجب منهُ ابن هذه البلاد عند دخولهِ بلاد مصر عدم تحزُّب الناس التحزُّب الاعمى الذي يظن الجاهل أنهُ يخدم بهِ ربهُ وهو يتعدَّى وصاياهُ

وخامساً اعتماد مصر على الاجانب لقضاء ما كان يتعسر على اهلها قضاؤُهُ وذلك وان كان يظهر لكثيرين مؤدياً الى خسارة مصر من وجوه شتى فهو لا يظهر كذلك لمن يعلم حقَّ العلم ان لا نصيب من مصر لغير اهل مصر وان للافرنج زمناً محدودًا يقضونهُ فيها ثم يخرجون من وظائفها كما دخلوها وهذا يشعر بهِ اقوى الافرنج في مصر صولةً واشدهم في التملُّك فيها رغبةً. قال لنا بعض اهل الدراية العالمين بتقلبات الاحوال منهم «الظاهر ان مصر بيد الافرنج والحق ان تيارًا خفيًا يسلبهم الآن الصغائر وعما قليل يسلبهم الكبائر ايضاً وستكشف لكم الايام ذلك» انتهى نقلاً عن الجزء السادس الصادر في غرة اكتوبر سنة ١٨٨٠

وكان كما قال لنا ذلك السياسي فتوالت الحوادث وانتجت الثورة العرابيَّة. قال صاحب الترجمة في ذلك ما نصهُ بالحرف الواحد . "كانت جميع الاعمال قائمة على قدم السداد وكانت هيئة النظارة سائرة في الطريق الجادة ناشرة الوية العدل والتسوية بين القوي والضعيف والرفيع والوضيع فاستوجب ذلك اثارة الحقد في صدور ارباب الاغراض فتقولوا على هذه الهيئة وطعنوا فيها واختلط كثير منهم بضباط العسكريَّة فاوغروا صدورهم

والقوا في آذانهم انهم الاحق بتعديل القوانين والتصرف في الحكومة حيث انهم اهل الوطن واصحاب القوة وحسَّنوا لهم ما صنع بعضهم من الثورة السابقة التي لم يعاقبوا عليها فتعصبوا وتمكن منهم الغرور وكان رئيسهم احمد عرابي احد امراء الالايات وقتئذٍ فاستمال سائرهم وعاقدهم على مضادة الحكومة وتقدم من رؤسائهم لمجلس النظار عرضحال يطلبون فيهِ تغيير ناظر الجهاديَّة عثمان باشا رفقي وتشكيل مجلس نواب وغير ذلك مما يخرج عن حدود وظائفهم فانعقد لذلك مجلس النظار تحت رئاسة الجناب الخديوي الافخم وانحط الرأي على عقد مجلس من الاهلين وبعض امراء العسكريَّة للنظر في امرهم والحكم فيهم بما تقتضيهِ قوانين الجهاديَّة وتعهد ناظر الجهاديَّة بان لا ينجم عن ذلك خطر ولا ضرر فانعقد ذلك المجلس بقصر النيل وجلبوا اليهِ لمحاكمتهم فقام جمع من الضباط والعساكر وهجموا على قصر النيل واهانوا من بالمجلس واخذوا العرابي ومن معهُ بالقوة على حسب عهد كان بينهم فكان ذلك اول التظاهر بالعصيان والخروج عن طاعة الحكومة وشاعت هذه النازلة حتى وصل خبرها الى البلاد الاجنبيَّة فجمع الخديوي الاعظم النظار واعيان الامراء وتفاوضوا في اطفاء هذه الفتنة فتقرر تغيير ناظر الجهاديَّة واجابة العسكر الى مطلوبهم والاغضاء عما حصل منهم لما تبين من عدم وجود قوة تحت يد الحكومة ترد جماحهم فلم ينقطع الشر بذلك بل تمادوا على العصيان وحملهم الخوف على انفسهم على شدة النفور وعدم قبول النصيحة وطمعوا في ان يكونوا اصحاب الحل والعقد في الحكومة وتاكد التحالف بينهم حتى بلغ بهم الامر الى ان هجموا على سراي عابدين ووجهو اليها المدافع وطلبوا سقوط هيئة النظارة وترتيب مجلس النواب وزيادة عدد الجند الى ثمانية عشر الف عسكري فحضر القناصل وأوصلوا الامر الى دولهم بواسطة التلغراف وبعد المخابرات اجيب العسكر الى مطلوبهم وغيرت هيئة النظارة وصدر الامر الخديوي الى المرحوم شريف باشا بتشكيل هيئة تحت رئاستهِ فشكلها وعقد مجلس النواب فشرع رجال المجلس في تقرير لائحتهِ الاساسيَّة وبعد قليل طلبوا ان يكون لهم الحق في ميزانيَّة الحكومة بشرط عدم الخروج عن المعاهدات الدوليَّة وقانون التصفية فلم يجبهم المرحوم شريف باشا الى ذلك فأصروا على الطلب وظاهرهم العسكر فاستعفى المرحوم شريف باشا وتغيرت هيئة النظارة وتشكلت هيئة جديدة تحت رئاسة محمود باشا البارودي ". ثم يتلو ذلك وصف الثورة العرابيَّة الى ان دخلت الجنود الانكليزية مدينة القاهرة وتألفت النظارة برئاسة المرحوم شريف باشا سنة ١٨٨٣ فكان صاحب الترجمة ناظرًا لديوان الاشغال وعاد الى اصلاح

الري وتكثير المياه في الخطاطبة وادخل طريق المقاولات في المباني على الاطلاق وبلغ ما أُنفق على اعمال القاهرة وحدها تلك السنة خمسة وسبعين الف جنيه وبدأ ببناء دواوين الحكومة والسجون والمستشفيات لان الدواوين كانت الى ذلك العهد ” مبنيَّة بالطوب النيء او الدبش على غير نظام وكانت الحبوس حواصل مظلمة لا يدخلها النور الاَّ قليلاً وكان اصحاب الجرائم على اختلاف جرائمهم يخزنون فيها كالامتعة وداخلها يختنق بمجرد استنشاق هوائها... ولم يكن بالمديريات اسبتاليات داعية الى الصحة بل كان بعضها محل ورشة ونحوها واكثرها متهدم والسليم منها كمربط البهائم “

وفي اواخر سنة ١٨٨٣ استعفى المرحوم شريف باشا وتألفت نظارة جديدة برئاسة دولتلو نوبار باشا ولم يكن صاحب الترجمة فيها فبقيت الى اواسط سنة ١٨٨٨ وحينئذٍ صدر الامر الخديوي الى دولتلو رياض باشا بتأليف وزارة جديدة فجعل صاحب الترجمة ناظرًا للمعارف وبقي فيها الى ان استعفى دولتلو رياض باشا في الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٨٩١ وتولى رئاسة النظار عطوفتلو مصطفى باشا فهمي . وسنجمل الكلام في الجزء التالي على ما فعلهُ صاحب الترجمة مدة توليهِ نظارة المعارف هذه النوبة وما عرفناهُ من امرهِ بالخُبر والخبر

مشاهد اوربا

١٣

مدافن باريس

لم اشأ ان اغادر باريس قبل ان اشاهد منازل سكانها الباقية حيث القوا عصا الترحال. وقالوا ان نحول عنها او تأول الدنيا الى الزوال. فسار بي الدليل الى مقبرة الاب لاشيز ومرَّ بي على سجن الجناة واراني المكان الذي يُقتل فيهِ من يحكم عليهِ بالقتل منهم وقال انهُ يوم يراد انفاذ الحكم على احد تضيق هذه الساحة والاماكن المحيطة بها بالناظرين حتى تؤجر النافذة بقدر كبير من المال. فقلت في نفسي لم يزل الطبع الوحشي في ابن آدم فيقتل ابناءَ نوعهِ ويسرُّ برؤيتهم يُقتلون. ولعلَّ ذلك باقٍ في نفسهِ بقاءَ الاعضاء الاثريَّة في جسدهِ وسيزول مع الزمان بارتقائهِ في سلَّم الفضائل . ثم بلغنا المقبرة وصعدنا فيها وهي في مرتفع من الارض يطل على المدينة وكأني سمعت سكانها يرددون قول ابي العلاء القائل

صاحِ هذه قبورنا تملأُ الرحـ   بَ فأين القبور من عهد عادِ
رُبَّ لحدٍ قد صار لحدًا مرارًا   ضاحكٍ من تزاحم الاضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ   في طويل الازمانِ والآبادِ

فوقفت هنيهةً انظر ما حولي من المدافن المتقاربة حتى كانها بناءٌ مرصوص وخطر لي ان اقول للدليل

خفّف الوطأَ ما اظنُّ اديمَ الا   رضِ الَّا من هذه الاجسادِ

ولقد سرتُ واياهُ الهوينا كأن على رأسينا الطير وجلنا في انحاء المقبرة فأراني قبور اشهر رجال باريس الذين سارت بذكرهم الركبان وبنوا لفرنسا صروحًا من المجد تبقى على كرور الزمان من الفلاسفة والعلماء والشعراء والبلغاء والساسة والقوّاد. وقد اعجبني ان الجميع مدفونون في مقبرة واحدة على اختلاف اديانهم ومذاهبهم فترى هناك قبور الاسرائيليين والمسيحيين كأن البلاد التي جمعتهم أحياء لم تشأ ان تفرق بينهم امواتًا الَّا بجمع كل اهل مذهب منهم في جهة واحدة تسهيلاً لاقامة الشعائر الدينيَّة. ورأيت الارامل والثكالى واليتامى مرتدين اثواب الحداد وبايديهم اكاليل الازهار يردون لزيارة امواتهم وكأنهم اقلامٌ حيَّة تخطُّ على صفحات الدهور ان لا انفصال بين هذه الحياة والأُخرى وان الذين وارينا اجسامهم في الرموس لم ينقطع حبل الاتصال بيننا وبينهم فنهدي اليهم الازهار والرياحين كما لو كانوا احياء وانَّ لنا سلوانًا في قول من قال

لا تصلحُ الارواح الَّا اذا   سَرَى الى الاجسادِ هذا الفسادْ

وقد اخبرني الدليل انهُ يزور هذه الرموس يوم عيد جميع القديسين ويوم عيد جميع النفوس مئة الف نفس من سكان باريس وان الرموس الكبيرة لا يقل عددها عن عشرين الفًا ولكنني لم ارَ بينها قبورًا عظيمة فخيمة البناء او بديعة التماثيل كما رأيت في مقبرة ميلان. واعظم القبور التي رأيتها هنا قبر الرئيس تيبرس وهو جديد في شكل هيكل كبير رفيع العماد حسن البناء فاخرهُ. وقبر البرنس دميدوف الروسي وعليهِ رسم المطرقة الماسونيَّة مكررًا مرارًا كثيرة لانهُ كان رئيسًا للماسون ويقال ان نفقات انشاء هذا القبر بلغت ستة ملايين من الفرنكات. وقبر لبا ناصب المسلة المصريَّة في ساحة الكونكورد وعليهِ مسلة كبيرة شبيهة بها. وليس هناك خمائل ورياحين تستحق ان تقابل بالخمائل التي في مقبرة ميلان. وقد سألت الدليل قائلاً لماذا دفنتم تيبرس هنا ولم تدفنوهُ في البنثيون مدفن عظمائكم فقال « لانهُ سفك دماء الفرنسويين » فاعجبت بهذا الجواب الوجيز ولم استزدهُ ايضاحًا

اما البنثيون فمدفن عظماء فرنسا ونخبة قوّادها وهو كنيسة كبيرة من اعظم كنائس باريس واجملها بناءً . وضع الملك لويس الخامس عشر الحجر الاول من اساسهِ سنة ١٧٦٤ وتمَّ بناؤهُ سنة ١٧٩٠ على اسم القديسة جنفيف حامية باريس . واتفق ان تمَّ بناؤهُ والبلاد تتمخض بالثورة فحوَّلهُ الثائرون هيكلاً وسمَّوهُ البنثيون تشبيهاً لهُ ببنثيون رومية وجعلوهُ مدفناً لعظماء البلاد . ثم أُعيد كنيسة سنة ١٨٠٦ بامر نبوليون الاول وبقي مدفناً للعظماء ودُفن فيهِ اربعون رجلاً منهم مدة الامبراطورية الاولى . وتقلبت عليهِ الشؤون بعد ذلك فأُعيد هيكلاً ثم أُعيد كنيسة ثم أُعيد هيكلاً واستُعمل في الحرب الاخيرة مخزناً للبارود وهو الآن مدفن للعظماء لا غير وفيهِ قبور خمسين رجلاً منهم فكتور هيغو وجان جاك روسو وفولتر ولاغرانج وغيرهم من قوّاد الجيش وامراء البحر الَّا ان رفات روسو وفولتر ليست فيهِ

والهيكل في شكل صليب يوناني طولهُ ٣٧٠ قدماً وعرضهُ ٢٧٦ قدماً وفي وسطهِ قبة شاهقة ارتفاعها ٢٧٢ قدماً وامامهُ رواق كبير فيهِ ٢٢ عموداً متلماً من النوع الكورنثي ارتفاع كلٍّ منها ٦٢ قدماً ويدخل من الرواق الى الهيكل بثلاثة ابواب من البرنز ارتفاع كل منها ٢٥ قدماً . وداخلهُ جامعٌ للفخامة والبساطة كظاهرهِ فالقبة قائمة على اعمدة كورنثيَّة عظيمة ولكنها ليست ضخمة ولا نحيفة . وفي الجدران صور وتماثيل دينيَّة وتاريخيَّة تزيدها رونقاً ومهابة . اما النواويس التي توضع فيها رفات الاموات ففي اقبية كبيرة تحت الهيكل وقد دخلتها مع ثلاثة من السيَّاح فلم اجد فيها شيئاً يستحق الذكر سوى ان الحارس الذي سار امامنا كان يمتحن لنا عود الصدى وترديدهُ كاننا في مدرسة العلوم الطبيعيَّة

وفي باريس مدفن آخر يستحق ان يزار قبل كل مدفن بل قبل كل مشهد من مشاهدها وهو مدفن نبوليون الاول في الانفاليد فانهُ

تضمن مجداً عُدمليًّا وسوددًا   وهمة مقدامٍ ورأيَ حصيفِ

والانفاليد دار فسيحة بنيت منذ سنة ١٦٧٠ لسكن الجنود الذين يصابون بآفة في القتال او الذين يمضي عليهم ثلاثون عاماً في الجنديَّة فيقيمون فيهِ آكلين شاربين كأنهم في بيوتهم . وتسَع هذه الدار خمسة آلاف نفس ولكنني شاهدت غرف المائدة التي فيها فاذا عدد من يأكل عليها قليل جدًّا قد لا يزيد على بضع مئين . وفي حديقة الدار مدافع كثيرة مما غنمهُ الفرنسويون في حروبهم منها مدفع قديم صبَّ في فينا سنة

١٥٨٠ وعليهِ بالجرمانيَّة ما معناهُ " اذا تردَّد صوت غنائي في الهواء دكت امامي اسوار كثيرة ". ومدفع صب في بلاد الجزائر وعليهِ بالعربيَّة ما نصهُ " صُنع في زمن السلطان عبد الحميد خان في الجزائر بامر مُحَمَّد باشا ابن عثمان جزاهما الرحمن بالرضى والرضوان سنة ١١٨٩ "

وفي هذه الدار خزانة الاسلحة القديمة من الدروع والخوذ والسيوف والتروس والفؤوس والقسي والحراب والمزاريق والمدافع والبنادق وما اشبه من ادوات الحرب والقتال وهي مجموعة من كل البلدان من اقاصي الهند والصين الى اقاصي بلاد المغرب ومن العصر الروماني الى هذا العصر . وفيها ايضاً كثير من الاعلام القديمة التي غنمها الفرنسويون في حروبهم ويقال انهُ حُرق فيها الف وخمس مئة علم من الاعلام التي غنمها نبوليون الاول لكي لا تقع في يد الجنود المتحدة وذلك سنة ١٨١٤

وواسطة عقد هذه الدار والدرة اليتيمة التي تتجه اليها الانظار الكنيسة التي فيها رفات نبوليون الاول فان عليها قبة عظيمة باذخة مغشاة بالذهب علوها ٣٤٤ قدماً وقبر نبوليون تحت هذه القبة في منخفض مستدير قطرهُ ٣٦ قدماً وعمقهُ عن ارض الكنيسة ٢٠ قدماً وجدرانهُ من المرمر الصقيل عليها عشر من الصور الخياليَّة البديعة. والقبر نفسهُ ناووس كبير من المرمر الخمري اللون طولهُ ١٣ قدماً وعرضهُ نصف ذلك وعلوهُ ١٤ قدماً وثقلهُ اكثر من ٦٧ طنًّا والارض حولهُ مرصوفة بالفسيفساء في شكل اكليل من الغار وعليها اسماء ثمانٍ من الوقائع الشهيرة التي انتصر نبوليون فيها وفي هذه الكنيسة قبر اخويهِ جيروم بونابرت الذي كان ملك وستفاليا ويوسف بونابرت ملك اسبانيا. وفيها ايضاً نصب للجنرال تورن الذي توفي سنة ١٦٧٥ وهو من اجمل الانصاب التي رأيتها في باريس وقد أُتي بهِ من كنيسة سنت دني ونصب للجنرال فوبان. وعند باب المنخفض الذي فيهِ قبر نبوليون ناووسان لدورك وبرتران صديقي بونابرت الحميمين وفوقهُ عبارة ممَّا كتبهُ بونابرت نفسهُ وهي « اودُّ ان توضع رفاتي على ضفاف السين في وسط الشعب الفرنسوي الذي احببتهُ حبًّا شديدًا» وفي الكنيسة محراب من اجمل ما رأتهُ عيني واظن انهُ من اخر ما صنعهُ الصنَّاع

وقد أُخبرتُ ان في باريس ٢٢ مقبرةً ولكن مقبرة الاب لاشيز التي وصفتها آنفاً اكبرها واعظمها شأناً لان فيها مدافن الاغنياء والعظماء ولذلك اجتزأت بزيارتها عن زيارة غيرها . اما البنثيون وكنيسة الانفاليد التي فيها قبر نبوليون الاول فاعظم

المباني التي شاهدتها حتى الآن فوق الاضرحة لكنهما في الحقيقة كنيستان لا مدفنان

١٤

قصر فرسايليا

سمعت عن قصر فرساليا من احد الاصدقاء في القاهرة فتاقت نفسي الى مشاهدتهِ قبل ان اغادر هذه الديار فذهبت اليهِ مع جماعة كوك وكنَّا في المركبة اربعةً وعشرين نفساً اكثرهم من الانكليز القاطنين في استراليا وذهب معنا دليل شيخ عرك الدهر وذاق ما فيهِ من الخل والخمر. وكأَنهُ استظهر كتب الادلة وما شاكلها من الاسفار فلم اسأَلهُ عن شيءٍ الَّا رأَيتهُ جهينة الاخبار. فمررنا اولاً في سان كلو وهي مدينة صغيرة في ضواحي باريس ورأَينا اطلال قصرها الشهير الذي رُفعت عليهِ اعلام المجد والعظمة منذ سنة ١٥٧٢ الى الحرب الاخيرة وكان مصيفاً لنبوليون الثالث ومظهرًا لعظمتهِ وقد امسى الآن اطلالاً بالية والصنَّاع يقتلعون حجارتهُ ويمهدون ارضهُ ليبنوا مكانهُ مدرسة للصناعة (بوليتكنيك) لان مدارس باريس الكليَّة ضاقت بتلامذتها الذين بلغ عددهم ستة عشر الفاً. وحبذا لو كان ذلك نصيب جميع القصور التي لم تزل وقرًا على البلاد بنفقاتها الباهظة وليس فيها ساكن سوى الجرذان فتستحيل مدارس للعلوم والفنون وتسترد البلاد منها بعض ما انفقتهُ عليها. وحول القصر حدائق غنَّاء ورياض يانعة كانت الامبراطورة ونساء البلاط يتنزهنَ فيها ويتفيأن ظل ادواحها الغيباء وستصبح مسرحاً للشبان طلاب العلوم الصناعيَّة ومنتزهاً لهم اذا كلَّت ادمغتهم من الدرس والتنقيب

ثم عدنا الى المركبة وواصلنا السير الى ان بلغنا مدينة فرساليا والارض على الجانبين حراج وغياض قلما يرى فيها مفترج. فسرنا اولاً الى قصر صغير يقال لهُ الترينون الكبير. وكأَن الدليل اراد ان لا يدهشنا فجأَة برؤْية قصر فرساليا الكبير فجعل رؤْية الترينون تمهيدًا لهُ. وهو الى الشمال الغربي من قصر فرساليا وعلى نحو اربعة آلاف قدم منهُ وقد بناهُ الملك لويس الرابع عشر لمدام منتنون وفيهِ غرف بديعة النقش والزخرفة كثيرة الصور والتماثيل والاثاث الفاخر. من ذلك مائدة من خشب الجوز قطرها نحو ثلاثة امتار وهي من لوح واحد مقطوع من الشجرة عرضاً. وحوض وجامات من المرمر الملكي الاخضر تلمع بلونها البهي كالزمرد المعرَّق وهي هدية من القيصر اسكندر الاول الروسي الى نبوليون الاول. وآنية صينيَّة من معمل سافر وهي مثل كل آنية هذا المعمل ممتازة بحسن صنعها ودقة نقشها وبهاء الوانها على جميع الآنية التي رأَيتها حتى الآن صينيَّة

وغير صينيَّة. والى يمين هذا القصر غرف فيها كثير من المركبات والمزالق القديمة والحديثة والعدد الثمينة من عهد الملك لويس الرابع عشر الى عهد نبوليون الثالث وبينها مركبة كبيرة مذهبة بلغت نفقات عملها مليونًا من الفرنكات والمركبة التي ركب فيها الملوك الذين زاروا باريس . ويلي هذا القصر قصر آخر يسمى التريننون الصغير وهو من اجمل القصور وابدعها زخرفةً وكانت الملكة ماري انطونت تحب الاقامة فيهِ وقد شاهد كثيرًا من افراحها واتراحها ولم نقم فيهِ الاَّ دقائق قليلة لان غرضنا القصر الكبير الذي سارت بذكرهِ الركبان وانفقت مملكة فرنسا عليهِ وعلى الروض المتصل بهِ الف مليون من الفرنكات ولم تزل تنفق عليهِ نفقات طائلة الى يومنا هذا .(١) فعدنا اليهِ ووقفنا في ساحتهِ الفسيحة برهة نقلب الطرف تارةً في ما فيها من التماثيل وطورًا في ما يظهر لنا من جدران القصر والدليل يسرد علينا طرفًا من تاريخهِ . ثم دخلنا مقاصيرهُ العديدة وجعلنا نتفقد ما فيها من الصور والتماثيل والمرايا والموائد والزخارف المختلفة وبقينا اربع ساعات متواليات ننتقل من مقصورة الى ابدع منها ولا نقف الاَّ امام بعض الصور الشهيرة او الآثار النفيسة او المصنوعات الفاخرة ولا يطول وقوفنا حينئذٍ الاَّ بضع ثوانٍ والاَّ فلو وقفنا ربع دقيقة امام كل صورة من صورهِ وهي خمسة آلاف لاقتضى لنا احدى وعشرون ساعة .

وقد كنت احسب ان قصر الدوقات في البندقيَّة وقصر اللوفر في باريس افخر قصور الملوك حتى دخلت هذا القصر فرأيت ان المهندسين والمصورين والنقاشين وكرام الملوك قد تألبوا وتناصروا على بنائهِ وزخرفتهِ وتنميقهِ وتمشيقهِ ولم يضنوا بمال ولا بنضار على تمثيل ما يتصورهُ الذهن ويتوهمهُ الخيال من صور الحسن ومعاني الجمال . وما احرى بهِ قول ابن حمديس الصقلي الذي قال

قصرٌ لو أنك قد كحلت بنورهِ   اعمى لعاد الى المقام بصيرا
ابصرتهُ فرأيت أبدع منظرٍ   ثم انثنيتُ بناظري محسورا
فظننتُ اني حالمٌ في جنةٍ   لما رأيتُ الملك فيهِ كبيرا
أعيتْ مصانعهُ على الفرْس الأُولى   رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهورُ وما بنوا   لملوكهم شبهًا لهُ ونظيرا

هذا هو القصر في حالهِ الحاضرة بعد ان تولاهُ النسخ والتغير مرارًا ونزع احد

---

(١) يقال ان نفقة اجراء الماء الى البحيرات التي في روض هذا القصر يومًا واحدًا عشرة آلاف فرنك ولذلك لا يجري اليها الآن الاَّ يومًا واحدًا في الشهر

الملوك اكثر آنيتهِ الفضيَّة وسكها نقودًا ودخلهُ رجال الثورة واتلفوا امتعتهُ وباعوا بعضها بابخس الاثمان وجُعل دارًا للمصابين في الحروب وغيرهم فكانوا ينشرون ثيابهم في كواهُ ويربُّون البقر والمعزى على سطحهِ فكيف كان شأنهُ والملك الواسع باسط عليهِ رواقهُ وعشرة آلاف من امراء فرنسا وعظمائها يقيمون فيهِ آكلين شاربين من كرم الملك لويس الرابع عشر الذي اراد ان يغمسهم في الترف والملاذ لكي ينفقوا كل ما لهم ثم يغمرهم بالنعم والعطايا ليصيروا لهُ عبيدًا ارقاء فيسلم من دسائسهم ويستعين بهم على اهل مملكتهِ والفان وخمس مئة من الجياد الصافنات مربوطة في مرابطهِ لركوب الملك واعوانهِ واجمل نساء فرنسا يتهادينَ في مقاصيرهِ ويجررن فيهِ ذيول المجد والفخار

والقصر في حالهِ الحاضرة كنز للصناعة الفرنسويَّة وهي في اوج مجدها من عهد الملك لويس الثالث عشر الى عهد الملك لويس السادس عشر وخزانة لاثمن الصور التاريخيَّة التي تمثل اشهر الحوادث في تاريخ فرنسا من ايام كارلس الكبير (سنة ٧٧٣ للمسيح) الى الآن

اما الصناعة الفرنسويَّة البادية في هذا القصر فهي في البناء والنقش والتصوير والتمثيل والتذهيب والنسج والتطريز . وكل ذلك من الطراز الاول والشكل الابدع . فالبناء مختلف المواد من الآجرّ الى المرمر واشكالهُ مختلفة باختلاف العصور ورغبة المهندسين. والنقش اكثرهُ في النحاس المذهب والمرمر المجزَّع واشكالهُ لطيفة بديعة

وضعتْ بهِ صنّاعهُ اقلامها   فأرتْكَ كل طريدةٍ تصويرا

بل أرتكَ كلَّ زهرة وغصن وملاك وانسان . والتصوير لم يترك صورة من صور الجمال الّا رسمها بأبدع الالوان فترى سقوف المقاصير واروقتها مزدانة بصور آلهة اليونان والرومان كأنها افلاك وقد تجلَّت فيها مظهرةً مجدها للناس . وجدرانها مغطاة بالصور التاريخيَّة والتخيليَّة وبينها صور الملوك والملكات وربات الحسن والدلال

من كل صائدةِ الرجال بمقلةٍ   منها وصائنة الجمال ببرقعِ

استغفرُ الله لا برقعَ ولا صونَ بل الجمال بادٍ مبذول لكل من يراهُ كما هو في اكثر صور الفرنسيس وتماثيلهم

والتمثيل لم يترك ملكًا ولا قائد جيش ولا امير بحر من رجال فرنسا الّا رسمهُ احسن رسم بل ترى هنالك ايضًا تماثيل بعض القياصرة باثوابهم المنمقة وهي من حجر البرفير البديع الالوان وتماثيل تخيليَّة كثيرة منها تماثيل آلهة ومنها تماثيل مدُن او ممالك . والتذهيب

على النحاس والخشب والجبس لم يزل في طلاوتهِ الاولى كانهُ صُنع بالامس لان الذهب ابريز وورقهُ ثخين فلا يكمد على مرور الزمان ولا يفنى بكثرة الاستعمال . والمنسوجات للاسرَّة والستائر والكراسي نسجت في انوال ليون من الحرير النقي ووشيت بالذهب وطرَّزتها عقائل فرنسا وكرائم اميراتها

واما الصور التاريخيَّة فمنها ما هو في القصر نفسهِ كالصور التي في سقف مقصورة المرايا وهي من اعظم مقاصير القصور طولها ثلاثة وسبعون مترًا وعرضها عشرة امتار ونصف متر وعلوها ثلاثة عشر مترًا وفيها سبع عشرة كوَّة كبيرة تجاه الروض الكبير يقابلها سبع عشرة مرآة كبيرة تماثلها شكلاً . وفي سقفها صور تاريخيَّة تمثل ثلاثين حادثة من تاريخ الملك لويس الرابع عشر كل صورة منها محاطة بطوق مذهب من افخر ما صنعهُ الصنَّاع والنقَّاش. ومنها ما جمع جمعًا في مقاصير القصر فصار بها متحفًا تاريخيًّا وبذلك حُفظ من الدمار فانهُ لما جلس بونابرت على سرير فرنسا اراد ان يهدمهُ ويبنيهُ ثانيةً على شكل جديد او ان يرممهُ ترميمًا ولكنهُ عدل عن ذلك لما رأى كثرة النفقات اللازمة لهُ . ثم رممهُ الملك لويس الثامن عشر بين سنة ١٨١٥ وسنة ١٨٣٠ . ولما تمهد الملك للملك لويس فيليب شرع في تحويلهِ معرضًا للصور التاريخيَّة وكان ذلك سنة ١٨٣٣ فجمعت فيهِ هذه الصور من قصر اللوفر وغيرهِ من القصور وانتدب كبار المصورين لتصوير ما لا صورة لهُ . وبلغت نفقات ذلك خمسة عشر مليونًا من الفرنكات دفع اكثرها من خزانة الملك . ومن ثم الى الآن والصور التاريخيَّة تزاد فيهِ من غير نظر الى قيمتها الصناعيَّة فيرى فيهِ الغث والسمين . وقد شاهدت بينها صور حروب الصليب في القدس الشريف وعكاء وعسقلان وبيروت ووقائع حرب القرم مع الروس وحرب الجزائر مع الامير عبد القادر الجزائري وحرب مراكش وحروب نبوليون في مصر وحروب أُخرى في اوربَّا وآسيا وافريقية واميركا وفي الجملة كل الوقائع التي كان النصر فيها للفرنسويين. وقد قيل ان الانسان يستفيد من تذكر الفشل اكثر مما يستفيد من تذكر الظفر الَّا ان مديري هذا المتحف وغيرهِ من المتاحف الاوربيَّة التي شاهدتها لا يرون هذا الرأي على ما ظهر بل يجمعون صور الوقائع التي ظفروا فيها ويتركون صور الوقائع التي غُلبوا فيها ليجمعها اعداؤهم في متاحفهم

وقد هالتني صور الحروب (واكثر الصور الكبيرة منها) فكنت اقف امامها مدة طويلة اتأمل في شراسة ابن آدم وطمع الملوك والقوَّاد . فان الانسان الذي يتألم من

شوكة تنشب في يدهِ يحمل على ابن نوعهِ بقلب اقسى من الحديد ويمزق لحمهُ تمزيقاً . والامة التي اذا قُتل رجل من ابنائها هاجت وماجت وملأَت الارض نواحاً ورثاء تحمل على امة مجاورة لاقل علة او لغير علة وتفتك بالالوف المؤَلفة من ابنائها. ورحم الله من قال

قتل امرئٍ في غابةٍ   جريمة   لا تغتفرْ
وقتل شعب آمنٍ   مسأَلةٌ   فيها نظرْ

ثم أَلتفتُ فاذا الدليل والرفاق قد سبقوني كثيراً فاهرول وراءهم واترك صوراً كثيرة لا أَراها الاَّ لمحاً. ومن الصور التي استوقفتني صورة اغتنام دوق دوميل لمنازل الامير عبد القادر ومضاربهِ وهوادج مخدرات العرب وكرائم نساء المغرب وكان الامير عبد القادر غائباً ولولا ذلك لاذاق دوق دوميل وفرسانهُ حرباً لم يذوقوا نظيرها ولبقيت هذه الصورة في مخيلة مصورها او لورد كأْس المنون قبل ان تخطر لهُ ببال لانهُ كان في المعركة . وهي من اكبر الصور فان طولها واحد وعشرون متراً وثلث متر وعرضها نحو خمسة امتار . ومما تمتاز بهِ هذه الصور التاريخيَّة انك ترى في بعضها الرجال والخيول بقدودهم الطبيعيَّة فتظن انك ترى واقعة حقيقيَّة من وقائع القتال والقتلى والجرحى مطروحون فيها على الصعيد تمزقهم حوافر الخيل ولا من يرثي ولا من يغيث والجنود ممسك بعضهم بخناق بعض او مسدد اليهِ آلات الموت والهلاك . ومما يستوقف النظر صورة الامير عبد القادر وبنيهِ في دار سجنهم حين اطلقهم الامبراطور نبوليون الثالث معترفاً بفضل الامير وصادق عزيمتهِ . وصور مجالس فرنسا وثوراتها وحروب بونابرت . واكثر هذه الصور في رواق الحروب وهو مقصورة عجيبة طولها مئة وعشرون متراً وعرضها ثلاثة عشر متراً وفيها ٣٣ صورة من اعظم الصور الحديثة وتمثال ثمانين قائداً من القوَّاد الذين قتلوا في الحروب

ومما يحسن ذكرهُ انهُ لما نزلت الجنود الالمانيَّة في هذا القصر وقت الحرب الاخيرة غطوا الصور كلها لكي لا تتلف ولا تصاب باذًى وخرجوا من القصر كما دخلوا اليهِ ولم يفعلوا كما فعلت جنود بونابرت التي لم تدخل مدينة الاَّ غنمت كل ما فيها من نفائس الصور والتحف . وفي مقصورة المرايا الكبيرة المشار اليها آنفاً نودي بالملك ولهلم الاول امبراطوراً لالمانيا . ويقال ان اهالي فرساليا يذكرون الجنود الالمانيَّة بالخير الى هذه الساعة ويقولون ان بضائعهم لم ترج وارباحهم لم تكثر في وقت من الاوقات كما راجت

وكثرت وقت حلول الجنود الالمانيَّة في هذا القصر

واذا لم يكن قصر فرساليا اعظم قصور الملوك فروضةُ اعظم رياض القصور بل هو اكبر الرياض واكثرها اشجارًا وبركًا وفساقي وتماثيل ويظهر لي من خريطتهِ ان مساحتهُ لا تقل عن الفي فدان وانهُ ليس بين رسوم الرياض رسم ابدع منهُ ولا اجمل هندسة وقد شاهدتُ جانبًا صغيرًا منهُ مما يلي القصر وكانت الشمس قد مالت الى المغيب فاضطررت ان اودعهُ واتبع الرفاق قبل ان ارتوي من رؤيتهِ . وعدنا بطريق سائر ولم نشاهد معمل الخزف الشهير لاننا بلغناها بعد ان أُقفلت ابوابهُ وبتُّ تلك الليلة في باريس على اهبة السفر الى كالاي ومنها الى دوفر فلندن قصبة بلاد الانكليز وعاصمة السلطنة الانكليزيَّة

١٥

وداع باريس ولقاء لندن

ودَّعتُ باريس مفتونًا بمرآها   وآيِ حسن تجلَّى من محيَّاها
وجاهِ ملكٍ رفيع الشان جاورها   دهرًا طويلاً ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسبطرٌّ في معالمها   وبدرهُ مشرقٌ في اوج علياها
مرسومة في جبين الدهر صولتهُ   تتيهُ عجبًا بأُولاها وأُخراها
وعصبةٍ عصمتهم في صناعتهم   الهةُ الحسنِ فاستهدوا بسيماها
وخلَّدوا ذكر ارباب السيوف ومن   فاق الورى حجةً او فاقهم جاها
او خاض بحر المعاني فاجتنى دررًا   وصاغ منها حلى حسن بها باهى
او غاص في لج بحر العلم مجتليًا   غوامضَ الكون تعميمًا لجدواها
وآل علمٍ وفضلٍ طار صيتهم   فطبَّق الارض اقصاها وادناها
بستور ماري فلامريون كلهمُ   وبرَوْن سيكار ممن فاق اشباها
همُ الأُولى في سماء المجد قد رفعوا   لها منارًا وأعلوهُ فأعلاها
ودَّعتها وبنفسي من محاسنها   آياتُ حسنٍ يهيج الشوقَ ذكراها

ودعتها وقد ارسلت الغزالة اشعتها على الرُّبى تشرب انداء الصباح. وتمزقَ الضباب ايدي سبا لما رأى بريق البيض الصفاح . فركبتُ قطار الشمال قاصدًا مرفأ كالاي اقصر الطرق البحرية الى البلاد الانكليزيَّة لعلي انجو من تباريح بحر المانش المشهور بشدة

انوائهِ. فسار بنا القطار والطير ازاءهُ والنسيم وراءهُ الى ان عجنا بسور باريس فتذكرت قول ابن الوردي حيث قال

متكاملٌ فيها السرور لمن بها   يومًا اقام كما تكامل سورُها
فمضيئةٌ وسنيّةٌ ونديّةٌ   ارجاؤُها ورياضها وقصورُها

وسرنا تحفُّ بنا الرياض والغياض والمروج الخضراء فائضةً بالزرع والضرع الى ان بلغنا مدينة اميان وهي من مدن فرنسا الصناعيّة ينسج فيها الكتّان والصوف والمخمل وسكانها اكثر من ثمانين الفًا ولم يقم القطار فيها الاَّ دقائق قليلة وسار منها قاصدًا مدينة بولون وكانت السحب قد عقدت في السماء مآتمها وبللت الثرى بمدامعها فأشرفتُ من النافذة لأرى بحر المانش فاذا هو ساكنٌ مطمئنٌ يدلُّ اكدرار مائهِ على نوءٍ سابق فاطمأنَّ بالي وقلتُ سفرٌ موفقٌ باذن الله. وبولون فرضة كبيرة يقال ان فيها ما في مدن اوربا الكبيرة من المتاحف والمكاتب والملاهي وهي مسقط رأس ماريت باشا مؤسس دار التحف المصريّة ولهُ فيها تمثال من البرنز تخليدًا لذكرهِ. وعاج بنا القطار من بولون الى كالاي وهي اقرب ثغور فرنسا الى انكلترا فان بينها وبين مدينة دوفر الانكليزيّة ثمانية عشر ميلاً. وانتقلنا منهُ الى سفينة بخاريّة راسية في المرفإِ تنتظر الركاب فلما دخلتها جاشت نفسي من رائحة الفحم الحجري الذي يوقد فيها لانهُ كثير المواد القطرانيّة وممَّا ينبعث منها من الروائح الخاصة بالسفن القديمة ولعل ذلك السبب الاكبر للدوار في هذا البحر. وكان البحر رهوًا ولكن الركاب انذروني بسفر طويل ودوار شديد لان السفينة من اصغر السفن البخارية التي تمخر هذا البحر واقدمها واخبثها رائحة واشاروا عليَّ ان لا استلقي في السرير بل اقيم معهم في مجرى الهواء وفوقنا سترة تقينا من المطر فجلست بينهم وجاءنا البحارة بملاءات من النسيج المشمع القوها علينا اتقاء البرد. ومخرت السفينة بنا وهي ترتجف كقصبة تحركها الرياح ونحن نضطرب على ظهرها ونترنح كالسكارى ولم تطأ اقدامنا الارض الانكليزيّة حتى تمكن الدوار من اكثرنا. وقد اعتلت صحتي من جراء ذلك حتى خيل لي اني مصاب بالهواء الاصفر ولزمني الاعتلال اياماً

وحالما بلغنا مدينة دوفر رأينا قطارًا على رصيف البحر فصعدنا اليهِ وسار بنا الى محطة تشرن كرُس احدى محطات لندن ومررنا في طريقنا على آكام وهضاب كستها يد الطبيعة حللاً سندسيَّة ونمقتها يد الصناعة بمطارف بديعة الوشي كثيرة النمارق. وقد استغربتُ جسامة اشجارها وغضاضتها وانتشار اغصانها فانها كشجر الجميز والسنديان

الكبير في مصر والشام لا كاشجار الحور والكستناء في فرنسا وايطاليا دقيقة الساق قليلة الانتشار . وبيوت القرى كبيرة رفيعة المداخن تدل على ان الفلاح في سعة من العيش . وقد ادهشني تسابق الصنّاع والتجار على ترويج بضائعهم بواسطة الاعلانات فتراها منصوبة في الحقول والمزارع وعلى جوانب المحطات وعلى كل جدرانها حتى الارض التي على جانبي السكة لا تخلو من الاعلانات المكتوبة بالحصى المرصوص في شكل حروف الهجاء

ولما بلغنا محطة تشرن كرُس أُتي بامتعة الركاب فرأيت امتعتي بينها وكنت قد ارسلتها مسجلة من باريس الى هذه المحطة لكي لا اهتم بنقلها من القطار الى السفينة ومن السفينة الى القطار . وسألني رجل من رجال المكس عما اذا كان معي تبغ فقلت لا فرقم عليها رقماً وسمح لي بأخذها فرفعها خادم من الواقفين هناك الى مركبة من النوع المسمى عندهم "بالهنسم" وهي سريعة الجري فذهبت بي الى فندق في شارع سوثهمتن اخترتهُ لقربهِ من دار التحف البريطانيَّة (برتش ميوزيوم)

وقد أُسقط في يدي لما أشرفتُ على مدينة لندن ورأيت حقارة المنازل حتى ظننت اني في قرية من القرى الصناعيَّة الكبيرة ولم اعلم ان تلك المنازل من مدينة لندن نفسها حتى اكد لي ذلك احد الركاب ولكنني لم البث ان وصلت الى محطة تشرن كرُس حتى رأيت الارض مغطاةً بخطوط الحديد ذاهبة فيها كل مذهب وعليها ما لا يحصى من المركبات والسماء محجوبة بمنازل فخيمة تسد وجه الفضاء. وكنت لم أزل اجد انقباضاً في نفسي فلم اعلم أمن اثر سفر البحر هو ام من لون المنازل الفاحم التي كأنها جناح الغراب او جدران المداخن . ومعلوم ان حكم الانسان على ما يراهُ يتغير بتغير حالهِ من الراحة والتعب والانبساط والانقباض ولذلك لم التفت كثيراً الى ما مررت بهِ لكي لا احكم عليهِ حكماً جائراً من النظرة الاولى التي قلما يزول تأثيرها من النفس. وبلغتُ الفندق قبل ان آذنت الشمس بالمغيب وتعشيت مع من فيهِ من النزلاء طعاماً تفهاً لا يستمريهِ الشرقي ولما شعرت من نفسي بالقوة خرجت اطوف بالمدينة واتفقد مشاهدها العظيمة وشوارعها الكبيرة فرأيت ما ذكرتهُ لغير واحد من اهاليها الذين سألوني عن رأيي فيها وهي انها جامعة بين الغث والسمين والقبيح والجميل والحقير والكبير جمعاً لم أرَ لهُ مثيلاً. فترى هنا منزلاً كبيراً طبقتهُ السفلي من المرمر الاحمر وفوقها طبقات من الحجر الصلب فيها عمد الرخام والبرفير وفوقها التيجان البديعة والشرفات المزخرفة بالنقوش الكثيرة وبجانبهِ منزل صغير من الآجرّ نوافذهُ ضيقة ساذجة لا نقش حولها ولا رسم . وبجانب هذا منزل آخر

مصبوغ باللون الاحمر او الاخضر او الازرق او الاصفر وهو اقبح منهُ منظرًا واكثر سذاجة ويليهِ دار كبيرة من الاجر الاحمر الذي طال شواؤُهُ حتى صار كالخزف الصيني صلابةً وكالزجاج لمعانًا وهي بديعة البناء كثيرة الطنوف والشرفات . وامامها جدار بسيط يناطح السحاب بعلوهِ الشاهق والاعلانات تغطيهِ من اسفلهِ الى اعلاهُ وهي مختلفة الالفاظ والمعاني والصور والالوان كأَنها قمصان الدراويش المرقعة . والشوارع طويلة واكثرها رحب لكن لا انتساق ولا انتظام في المنازل التي حولها فبعضها فخيم كقصور الملوك وبعضها صغير كاكواخ الصعاليك والفخيم منها ليس على وتيرة واحدة بل قلما تجد منزلين متماثلين . ولا تشترك كلها الاَّ في ان الدخان قد البسها كساء اسود قبيحًا أَلِفهُ اهالي لندن فلم تعد عيونهم تستقبحهُ اما الغريب الآتي من مدن شرقيَّة قصرت الشمس جدران منازلها فيحسبهُ وسخًا لاصقًا بها ولا يدري كيف يغضُّ الاهالي الطرف عنهُ مع اشتهارهم بدقة الانتقاد . لكن هذه الشوارع تمتدُّ الى اطراف المدينة وهناك تكثر المنازل الجديدة وهي منسوقة نسقًا يروق النواظر وحولها حدائق غناء تزيدها بهجةً وكأَنها بنيت بعد ان اتُّخذت التدابير العلميَّة لتقليل الدخان فلم يجللها بسوادهِ

ويرى الناقد بعد امعان النظر أَن في المدينة قوة حيَّة آخذة في توسيع شوارعها وتنسيق منازلها وازالة البالي منها وتكثير ساحاتها ومنتزهاتها حتى تصبح الاولى بين العواصم نزهةً كما هي الاولى بينهنَّ اتساعًا . ويرى ايضًا ان السكان يبنون منازلهم لهم ولابنائهم وابناء ابنائهم من بعدهم كما بنى اسلافهم لهم . فالبناء متين وموادهُ من الحديد والمرمر والرخام والحجر والاجر صلبة رزينة لا تنخرها انياب الدهر فهي مثل السياسة الانكليزية التي تؤَسس اليوم اساسًا تبني عليهِ بعد مئة عام . واكثر الشوارع مرصوف بالحمر (الاسفلت) او بالخشب المقطرن وبعضها لم يزل ترابًا او مرصوفًا بالحصى ولكنَّ الصنَّاع منتشرون فيهِ يرصفونهُ بالخشب بعد ان يبسطوا تحتهُ طبقة ثخينة من الحمر والحصى. ومركبات الركوب والنقل كثيرة تغصُّ بها الشوارع على اتساعها لكن رجال البوليس من انبه الناس واشدهم تيقظًا وكلهم من الشبَّان الطوال القامة الذين تسيل القوة من معاطفهم فتراهم واقفين عند مفترق الطرق كالجبابرة والهيبة مرسومة على محيَّاهم فيشيرون الى المركبات باطراف اناملهم وكأَنهم يتحكمون فيها بقوة سحريَّة فتقف او تسير حسبما يشاؤُون فلا يصطدم بعضها ببعض. وهم مع ذلك على جانب عظيم من البشاشة والاستعداد لمعونة من يستعين بهم ولم اسأَلهم عن شيء الاَّ اجابوني عليهِ بالطف عبارة واوضح اشارة

ومع هذا الازدحام في شوارع لندن تراها دائماً نظيفة خالية من كل الروائح الخبيثة حتى مواقف المركبات لا رائحة خبيثة فيها . ومما هو من الغرابة بمكان انهُ ينبعث من بعض الشوارع ارج طيب كرائحة الصابون الانكليزي المطيب او كرائحة العقار المسمى باسم سنتاس كأن اهالي لندن يذرون هذا العقار في شوارعهم تطييباً لرائحتها حتى يصح فيها قول ابن الوردي

هي دار مملكة الرضا فلاجل ذا   قد أُسبلت دون الهموم ستورها
جمعت فنون الطيب في افنائها   وعلا على المسك الذكي عبيرها

* * *

مستقبل الانسان

تابع ما قبلهُ

ارتقت الاحياء على وجه البسيطة من ابسط الانواع التي لا فم لها ولا عين ولا اذن ولا لسان الى ان بلغت ما بلغتهُ من الارتقاء في نوع الانسان. وارتقى الانسان من حال البساطة والبربريَّة الى ان تسلط على هذه البسيطة وجعلها فردوساً طافحاً بالملاذ

ولم تلبث شعوب الارض ان ابطلت الحروب واسبابها على ما تقدم في الجزء الماضي حتى زادت الثروة والرفاهة وقلَّ التعب والنصب وانصرف همُّ الانسان الى تسخير قوى الطبيعة التي لم يسخرها قبلاً

وارتقى العقل ارتقاء عظيماً وصار الناس يهزأُون باسلافهم الذين كانوا يكتفون بالظواهر ويغضون عن الحقائق . وعلموا ان السعادة الحقيقيَّة مقرها النفس وان القناعة انما تكون بالدرس والعلم وان الحياة قصيرة ويجب ان لا تنفق في السفاسف . وقرَّ الجميع عيناً وطابوا نفساً بما نالوهُ من حريَّة الرأي والازدراء بحطام الدنيا

وزادت المرأة جمالاً وزاد قدُّها اعتدالاً وعيناها غزَلاً وبشرتها بياضاً وشعرها طولاً وغزارةً وثغرها صغراً وانتظمت اسنانها انتظام اللآلىء في كؤُوس المرجان

وطال العمر باتقان الوسائط الطبيَّة والصحيَّة فصار مئة وخمسين عاماً او اكثر ولم يجد الانسان سبيلاً للخلود في هذه الدنيا ولكنهُ وجد سبيلاً لتأخير الشيخوخة وحفظ الشباب فصار ابن مئة عام كابن عشرين عاماً في العصور الغابرة

وسخر الانسان حرارة باطن الارض ونور الشمس وحرارتها ومغنطيسيَّة الارض

وكهربائيَّة الهواء وجاذبيَّة السيَّارات والقوى النفسيَّة. لكنهُ وصل الى حد لم يستطع ان يتعدَّاهُ وبلغ ارتقاؤهُ أَوجهُ واخذ يميل الى الانحطاط كمن يصعد الى قمة اكمة ثم ينحدر على الجانب الآخر منها. وانذرهُ هذا الانحدار بان كل ما بلغهُ من الارتقاء سيتلاشى ويصير في خبر كان لان كل ما لهُ بداية لهُ نهاية . والموت هو الوارث الاخير لكل ما كان وما سيكون على وجه هذه البسيطة

وقد وُجد الانسان على وجه الارض قبل العصر الجليدي الذي مضى عليهِ الآن مئتا الف عام ويغلب على الظن انهُ كان انسانًا منذ مئتين وخمسين الف عام وعبرت اجيالهُ على الارض عبور الظل ولم يبقَ منها الَّا رفات بالية

وقد كان سكان المسكونة نحو الف مليون نفس في عصر الاسكندر المكدوني وبلغوا الفًا وخمس مئة مليون في آخر القرن التاسع عشر والفي مليون في القرن العشرين وثلاثة آلاف مليون في القرن التاسع والعشرين. وغاية ما بلغ اليهِ سكان المسكونة مئة الف مليون من النفوس ثم اخذوا ينقصون الى ان اضمحلُّوا واضمحلَّ معهم كل ما في هذه الارض الفانية

وقد تغير نوع الانسان جسدًا وعقلاً مدة العشرة ملايين سنة التي مرت عليهِ منذ اخذت الحوادث التاريخية تسجَّل في بطون الاوراق. لكنهُ بقي متلسطًا على سائر المخلوقات ولم يفقهُ نوع آخر من انواع الحيوان ولا هبط على الارض مخلوق آخر من السماء. ثم دالت دولتهُ وادركهُ الدور الذي يدرك كل حي بما طرأ على الارض من التغيير العظيم. فان حرارتها المركزيَّة زالت اولاً ثم ضعفت حرارة الشمس الواردة اليها فبرد سطح الارض بردًا شديدًا وفعلت الامطار والثلوج بجبالها فعلاً ذريعًا ففتتها وجرفتها الى قاع البحار ولم يمضِ تسعة ملايين سنة حتى زالت الجبال عن وجه البسيطة

(ومعلوم انهُ لا يمكن الجزم المطلق بان هذه الامور تجري على ما تقدَّم لان معارف الانسان لا تحسب شيئًا بالنسبة الى الحق المجرَّد. وشأننا في انبائنا بهذه الامور شأن نملتين تتذاكران في تاريخ مملكة عظيمة من ممالك الارض لكننا قد أُعطينا العقل لنستدل بهِ. واستعمالهُ ولو خطأً خير من تقييدهِ بقيود الجهالة والخمول . وقد استدللنا بهذا العقل على ان الارض اصغر من الشمس وانها بردت قبلها وان المشتري مثلاً اكبر من الارض ولم يزل في عنفوان الشبيبة وان القمر اصغر من المريخ وقد بلغ حد الشيخوخة . والمريخ اصغر من الارض وقد شاخ اكثر منها واقل من القمر وستزول الحياة من كرتنا الارضيَّة قبلما تزول من المشتري . ومعلوم ان قطر المشتري عشرة اضعاف قطر الارض وقطر

الشمس عشرة اضعاف قطر المشتري ولذلك لا عجب اذا بقي المشتري حيًّا بعد هرم الارض والزهرة والمريخ وعطارد وموتهنَّ . والارض معرَّضة لكثير من الآفات كالاصطدام بالنجوم والشموس وذوات الاذناب ولكنها قد لا تصطدم بها بل تبقى الى ان يدركها الهرم)

وفي الارض عنصر لازم للحياة وهو داخل في كل مادة حيوانيَّة ونباتيَّة وعليهِ مدار تغيرات الفصول والاقاليم وهذا العنصر هو الماء وقد قلَّ مقدارهُ رويدًا رويدًا بكرور الايام وتوالي العصور لان جانبًا منهُ غار في الارض ولم يعُد الى سطحها ولاسيما بعد ان برد باطنها وانتشرت حرارتهُ في الفضاء. ومعلوم ان عشرة آلاف الف سنة كافية لذهاب الماء كلهِ عن وجهِ الارض ولو كان الذاهب منهُ في السنة شيئًا طفيفًا جدًّا . ولما قلَّ الماء عن سطح الارض قلَّ البخار في الجو واشتدَّ برد الهواء لان البخار هو الذي يحفظ الحرارة فلم تعد حرارة الشمس كافية لحفظ الحياة الحيوانيَّة والنباتيَّة. وقبل ان حدث ذلك بقليل اي بعد مضي ثمانية آلاف الف سنة كانت المياه لم تزل على وجه البسيطة ولو كانت البحار قد صارت رقارق قريبة القاع ولذلك بقي البخار في الهواء وكثر الثلج عند القطبتين وفي تلك الاثناء بلغ نوع الانسان اوج مجدهِ ومن ثمَّ اخذت اسباب الحياة تضعف واخذ نوع الانسان ينقرض الَّا انها لم تضعف دفعة واحدة فبقي النوع راقيًا اوج مجدهِ اكثر من مئة الف سنة وفي غضونها بلغ غاية الارتقاء جسدًا وعقلاً ونفسًا وعملاً . وكان جل اعتمادهِ على حرارة الارض المركزيَّة بعد ان نفد الوقود كلهُ فلما نفدت استخدم الوسائط لخزن حرارة الشمس واستعمالها. وارتقت قوى النفس ارتقاء عظيمًا وصارت نفوس الناس تفعل بعضها ببعض على ابعاد شاسعة بل صارت تتخاطب مع سكان المريخ والزهرة . وزالت الشرور والمفاسد عن وجه البسيطة وانتفى منها كل ظلم وجور . وبقي الانسان لحمًا وعظمًا ولكنهُ ارتقى ارتقاء عظيمًا فصارت نسبتهُ الى ابن القرن التاسع عشر نسبة هذا الى ادنى انواع القرود . وغلب على الظن ان نوع الانسان لا ينحط عن الدرجة التي وصل اليها لكن الارض تغيرت تغيُّرًا عظيمًا كما تقدَّم فلم تعُد صالحة لسكناهُ لان الماء غار فيها وزالت البحار عن وجهها ولم يبقَ الَّا قليل منها بقرب خط الاستواء وجمدت القطبتان وانتشر الجمد الى المنطقتين المعتدلتين وهاجر الناس نحو خط الاستواء وقل المطر وجفت الينابيع وقلَّ البخار المائي في الهواء ويبست الاشجار وزالت اكثر انواع النبات . وتناول هذا التغير انواع الحيوان ايضًا فانقرضت الانواع العليا وتولدت انواع أُخرى غيرها

وبقيت حرارة الشمس على ما كانت عليهِ تقريباً ولم تنقص الاَّ نحو العشر وبقي القمر يدور حول الارض لكن دورانهُ صار بطيئاً وزاد بعدهُ عن الارض فصغر جرمهُ الظاهر. ولم تعُد الارض تتم دورتها اليوميَّة الاَّ في مئة وعشر ساعات اي صار طول النهار ٥٥ ساعة وطول الليل ٥٥ ساعة واسرع الانقراض في نوع الانسان ولم تبقَ منهُ في اواخر المليون العاشر من السنين الاَّ بقيتان صغيرتان في واديين كبيرين بقرب خط الاستواء

ولما زال البخار من الهواء كما تقدَّم بطل وقوع المطر والثلج واصفرَّت الشمس فصارت كالكهرمان . وقلَّ الهواء المحيط بالارض لكنَّ ضغطهُ بقي على حالهِ لان جرم الارض زاد كثيرًا بما سقط عليها من الرجم والنيازك وبرد سطحها كثيرًا لانهُ لم يبقَ بخار في الهواء ليحفظ حرارة الشمس لكن نوع الانسان صبر اولاً على هذه الطوارىء بما في عقلهِ من قوة الاختراع وفي جسدهِ من قوة الاعتياد وصار يستخرج غذاءهُ من الهوء والمياه التي في باطن الارض وبنى بيوتاً كبيرة سقفها بالزجاج لكي يحفظ فيها حرارة الشمس وسهل عليهِ ذلك لان الشمس كانت تشرق خمساً وخمسين ساعة متوالية كل يوم لا غيم يحجبها ولا سحاب يظللها . وصار متوسط حرارة الهواء عشر درجات تحت الصفر بقرب خط الاستواء اما المناطق المعتدلة والقطبيَّة فاشتد البرد فيها كثيرًا ولم يعد فيها حي لا من الحيوان ولا من النبات وتغطت تلك الاصقاع بالجليد ونقص عدد السكان من عشرة آلاف مليون نفس الى تسعة فثمانية فسبعة . ثم نقص عددهم كثيرًا ولم يبقَ منهم الاَّ بضع مئين كما تقدَّم وعادوا في اخريات ايامهم الى حال البساطة والسذاجة كما كانوا في اول عهدهم وصاروا يعيشون بما ابقاهُ لهم السلف من الوسائط العلميَّة والصناعيَّة

اما الواديان اللذان بقيت فيهما بقيَّة نوع الانسان الاخيرة فاحداهما في وسط ما يسمى الآن بالاوقيانوس الباسيفيكي والاخرى الى جنوبي ما يسمى الآن بجزيرة سيلان. وكان في هذين الواديين مدينتان من الحديد والزجاج وبقي في الاولى منهما رجلان شيخان وحفيد احدهما واسمهُ اوميغار واحد هذين الشيخين فيلسوف قضى العمر في درس تاريخ النوع الانساني والآخر طبيب كان همهُ الوحيد انقاذ من بقي من شرب كاس الحمام وكانا كلاهما نحيفي الجسم مصفري اللون كالاموات وكأنهما عاشا بما فيهما من القوة الادبيَّة ولكنهما لم يستطيعا الهرب من الموت فسلَّما للقدر المحتوم واسلما الروح فلم يبقَ في نصف الكرة الغربي الاَّ اوميغار وحدهُ

وقد عرف هذا الشاب ان حياة الارض امست كالعدم وان لا مستقبل لنوع الانسا فيها وان حياتهُ ستنقضي قريباً كحلم زائل فهام على وجههِ في ذلك القصر الزجاجي وهو يفكر في ما آل اليهِ نوع الانسان الى ان توارت الشمس بالحجاب وسدلت الظلمة ستارها فغلبتهُ الهواجس ورأى طيفاً تجلّى امام عينيهِ محاطاً بالبهاء ونظر اليهِ نظر الحب والهيام فشعر كانهُ انتقل الى فردوس النعيم وللحال فتح عينيهِ فلم يرَ حولهُ الاَّ الظلام الدامس فمضى الى سريرهِ وانطرح عليهِ وهو يستعيد حلمهُ ويودُّ ان يكون حقيقةً. وقد شعر بنفسهِ ان في الارض شخصاً آخر لكن شعورهُ كان ضعيفاً لان اسلافهُ كانوا قد انحطوا كثيرًا وضعفت فيهم القوة النفسيَّة التي كانت في اسلافهم. ولما اصبح الصباح فتح عينيهِ فلم يرَ حولهُ الاَّ مباني المدينة وجثتي الرجلين الذين ماتا بالامس فثبت لهُ انهُ الوحيد في هذه الدنيا وعزم ان يصرم حبل حياتهِ بيدهِ لينجو من هذه الوحدة وفتح خزانة وتناول منها قنينة وفتحها وادناها من فمهِ ليشرب ما فيها واذا بيد مسكت بذراعهِ فالتفت يمنةً ويسرةً ولم يرَ احدًا

ومدينة الوادي الذي الى الجنوب من جزيرة سيلان مات سكانها ايضاً ولم يبقَ منهم الاَّ فتاة وحيدة اسمها حواء وآخر من مات منهم امها فانها اسلمت الروح في اليوم السابق فجلست هذه الفتاة تفكر في ما آل اليهِ حال قومها وهي عالمة انها الشخص الاخير منهم وان الموت سيوافيها قريباً فينقرض بها نوع الانسان عن وجه البسيطة ثم نظرت الى الماضي البعيد وفكَّرت في ما كان عليهِ بنات نوعها وما خامر قلوبهنَّ من الحب لازواجهنَّ واولادهنَّ فخفق فؤادها وتنفست الصعداء. وجعلت تغفل مرةً وتحلم اخرى الى ان اصبح الصباح فنهضت من فراشها وذهبت الى الحمام وفتحت حنفيَّة يصعد بها الماء من جوف الارض بواسطة الآلات الكهربائيَّة فانصبَّ على جسدها كاللجين وطابت بهِ نفسها وكأنها نسيت ما كانت فيهِ من الكآبة والكرب ثم مضت الى غرفة الطعام وصبَّت قليلاً من الغذاء الصناعي في قدح وشربتهُ فانتعش جسمها وعادت الى جثة امها فامسكت يدها وارادت ان تسترجع نفسها من عالم الارواح لان نفوس الاحياء كانت تسترجع نفوس الاموات وتتكلم معها. ولم تكن قد رأت رجلاً من بني نوعها لان آخر رجل منهم مات قبل ولادتها وبقيت هي وامها واختها ثم ماتت اختها وامها وبقيت هي وحدها. وكانت تعلم بوجود مدينة اخرى في غربي الارض ولكن البرد الشديد كان قد قطع ما بين مدينتها وتلك المدينة من الاتصال الكهربائي فنظرت الى صورة هذه المدينة في كرة ارضيَّة معلقة فوق

رأسها ثم اغمضت عينيها وجمعت افكارها على تلك المدينة فشعرت للحال انها رأت فيها انساناً وخاطبتهُ ففهم خطابها وكانت قد انتقلت بنفسها الى تلك المدينة في الليل الفائت وتجلّت لاوميغار في حلم الليل ورأت في اليوم التالي وقوعهُ في بحار اليأس وعزمهُ على صرم حبل الحياة فقبضت على ذراعهِ بقوة ارادتها ومنعتهُ عن تجرُّع كأس الحمام. ثم جلست بجانب جثة امها وافكارها تائهة في الفضاء تفتش عن هذا الرفيق الوحيد في الدنيا ورآها اوميغار وشعر بها فصعد الى الدكة التي كانت المراكب الهوائية تطير منها في غابر الازمان وجلس في مركبة كهربائية واطلق لها العنان فسارت بهِ الى ان بلغت جزائر الهند ونزلت عند قصر البلور الذي فيهِ حواء فهبط عند قدميها وامسك بيدها قائلاً قد دعوتني فلبيتُ دعاءك وقد كنت عالماً بوجودك وطالما رأيتك في هواجسي وشعرت بك في نفسي ولكنني لم اجسر ان آتي اليكِ قبل ان تدعيني

فانهضتهُ عن الارض وقالت لهُ « لقد علمتُ ياصاحِ اننا وحيدين في هذه الدنيا واننا على حافة القبر ورأيت نفسي مدفوعة الى دعوتك بقوة فوق قوتي ولعلها قوة ارادة امي وها هي قد نامت منذ امس وطال علينا الليل » فأمسك بيد امها وجثا على ركبتهِ وللحال ذُعرت حواء واوميغار لان المرأة فتحت عينيها وخاطبتهما قائلةً « قد استيقظتُ من حلم ولم تدهشني رؤيتك يا اوميفار فانظرا يا ولديَّ » قالت ذلك واشارت بيدها الى المشتري وكان مشرقاً بالمجد بالبهاء في قبة السماء ولما نظرا اليهِ ظهر كأنهُ آخذ بالاقتراب منهما ورأيا بحارهُ الوسيعة مغطاة بالسفن وجوّهُ مشحوناً بالمراكب الهوائيَّة وعلى سطحهِ مدائن كبيرة غاصة بالسكان ولم يستطيعا ان يريا هؤلاء السكان ولا شكل بيوتهم ولا طريقة معيشتهم ولكنهما شعرا انهم مخلوقات حية ناطقة مكبة على السعي والعمل

ثم قالت لهما المرأة « سنكون من الغد في هذا الكوكب فنجد فيهِ كل بني الانسان وقد بلغوا اعلى درجات الكمال فان المشتري وريث الارض . وقد اتمت الارض عملها الذي خُلقت له ونفدت الحياة منها » قالت ذلك واغمضت عينيها واسلمت الروح

ستأتي البقية

باب الصحة والعلاج

تكوُّن الذكور والاناث

اهتمَّ الناس في كل زمان ومكان بمعرفة ما اذا كان الجنين ذكرًا او انثي قبل ولادتهِ او بكيفيَّة التوصل الى قاعدة يكون بها الجنين ذكرًا او انثى حسب ما يراد . ولا داعي لاطالة الشرح في هذا الموضوع فقد شرحناهُ بالتفصيل في المجلد التاسع من المقتطف ولكننا عثرنا في هذه الاثناء على قاعدة اكتشفها احد الاطباء الاميركيين بالاستقراء الطويل وهي انهُ اذا حدث العلوق في الايام الاولى بعد انتهاء مدة الحيض فالمولود انثى واذا حدث العلوق في الايام الاخيرة اي في الايام السابقة للحيض التالي فالمولود ذكر. وقد اورد مكتشف هذه القاعدة امثلة كثيرة تؤَيدها من ذلك ما ذكرهُ في السجل الطبي الصادر في السادس عشر من شهر دسمبر الماضي وهو ان امرأَة بكرية شعرت بقرب وقت ولادتها فدعت الطبيب المشار اليهِ فوجد ان الطاق لم يكن صحيحًا ولما سأَلها وسأَل زوجها عن بداءة وقت الحمل علم انها حاضت في السادس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٩٢ وتزوجت في اليوم التالي وتمَّ العلوق في الثالث والعشرين من ذلك الشهر حين انتهاء الحيض تمامًا فأَنذرها بانها لا تلد قبل سبعة او ثمانية ايام وانها تلد ابنةً وكان كما قال تمامًا

ونحن نذكر هذا الامر اجابةً للذين تكرَّرت علينا مسائلهم في هذا الشأْن ولا نكفل صحة هذه القاعدة ولكن الاطباء الذين ذكروها ممن يوثق بهم والجريدة التي نشرتها من الجرائد الطبيَّة التي يوثق بروايتها

الصحة في القطر المصري

من اول دلائل النجاح الانتباه الى سير الاعمال ومراقبتها عامًا بعد عام ومقابلة حاضرها بماضيها . فان البلاد التي تجري في هذه الخطة ترى مواقع الخلل فتصلحها ومواضع الضعف فتقويها ومسالك النجاح فتوسعها وتسير فيها. ولذلك نجد دوائر الحكومة المصريّة ومصالحها الناجحة كادارة الري والبريد والصحة تنشر تقريرًا مسهبًا كل عام

تفصل فيهِ ما اجرتهُ في عامها ومقدار الارتقاء الذي ارتقتهُ. وأمسُّ هذه المصالح بلا مشاحة مصلحة الصحة لان الارتقاء المادي والمعنوي متوقفان على صحة الابدان

وقد تصفحنا تقرير هذه المصلحة عن سنة ١٨٩٢ فوجدنا فيهِ من دلائل الاهتمام بصحة الاهالي ما يذكر بالشكر لسعادة مدير هذه المصلحة وهاك ملخص ذلك من ابواب التقرير

المستشفيات

في القطر المصري ١٩ مستشفًى للحكومة دخلها سنة ١٨٩٢ نحو ١٧ الف مريض وقد دخلها في السنة التي قبلها ١٥٣٧١ مريضاً وفي التي قبلها ١٤٣١٣ اي ان عدد الذين يعتمدون على هذه المستشفيات آخذ في الازدياد وذلك دليل على زيادة الثقة بها. وقد اتفق لنا ان زرنا مستشفى قصر العيني منذ اربع عشرة سنة فكدنا نختنق من الروائح الخبيثة المنتشرة منهُ ونبت ابصارنا عما فيهِ من المناظر القبيحة وجاشت نفس واحد منَّا ونوعكت صحتهُ من جراء ذلك. وقد زرنا هذا المستشفى امس فرأينا فيهِ من النظافة والاتقان ما لم نرَهُ في مستشفًى آخر من المستشفيات ومع ذلك فمصلحة الصحة ساعية في بناء مستشفى جديد احسن منهُ ولو بلغت نفقات بنائهِ ثمانين الف جنيه

وقد اشار مدير الصحة بانشاء مكان لمأوى الفقراء ومستشفيات للمجذومين وقال ان عدد المجذومين في القطر المصري ينيف على الالفين وان لا بد لهم من مستشفيات خاصة بهم لتمريضهم ومنع انتشار العدوى منهم الى غيرهم وعسي ان يجاب طلبهُ

الصيدليات

للحكومة في القطر المصري خمس عشرة صيدليَّة فقط وممَّا هو من الغرابة بمكان ان الوطنيين غير راغبين في هذه الصناعة وقد قلَّ عدد الطالبين منهم صناعة الصيدلة في مدرسة قصر العيني شيئاً فشيئاً حتى كاد يتلاشى ولا يمضي وقت طويل حتى يخلو القطر من الصيادلة الوطنيين. وقد اهتمت الحكومة المصريَّة بذلك ولا سيما لان صيدليات الاوربيين التي في القطر المصري خارجة عن مراقبة الحكومة فاشار مدير الصحة ان تعطي الحكومة الادوية اللازمة للصيادلة الوطنيين وتسلمهم الصيدليات التي في مدن الارياف ثم تأخذ منهم ثمن تلك الادوية تقاسيط فأقرَّت الحكومة على ذلك لكن لم يتقدم من الصيادلة الوطنيين للعمل بهِ الَّا صيدلاني واحد ولم يجد احدًا يكفلهُ لدى الحكومة غير مدير الصحة

القسم البيطري

لا يتلو صحة الناس في هذا القطر الَّا صحة مواشيهم التي عليها مدار الزراعة ولذلك عنيت الحكومة المصريَّة بانشاء هذا الفرع من فروع الصحة لمنع الاوبئة عن مواشي القطر ومما يذكر بالشكر لادارة القسم البيطري ان داء الجمرة الخبيثة دخل القطر المصري في بعض الغنم الواردة من بلاد الشام ولكن التحوُّط منع انتشارهُ فيهِ . ودخل القطر مرض القدم والفم وانتشر كثيرًا في الوجه البحري وكان دخولهُ اليهِ من بلاد الروس ولعلهُ زال الآن. وقد اشار مدير الصحة بانشاء مدرسة لتعليم فن الطب البيطري وعسى ان يجاب طلبهُ . وفي التقرير العام تقرير خاص من مدير القسم البيطري ذكر فيهِ الحقائق التالية عن الامراض المعدية وهي

(١) الكَلَب . في هذا التقرير ان عشرةً ماتوا بداء الكَلَب في القطر المصري في خلال سنة ١٨٩٢ ولم يعلم شيءٌ من امرهم الَّا بعد ظهور الداء فيهم. اما الذين عضتهم الكلاب الكلبي وبلغ خبرهم مصلحة الصحة فثلاثة وعشرون . وقد ثبت ان داء الكلب وُجد في الاسكندريَّة وبورت سعيد والشرقيَّة والمنوفيَّة. وعندنا ان اطباء الصحة اغفلوا الامر الاهم وهو القبض على الكلب وحفظهُ مدة حتى يثبت بالبحث الطبي والميكروبي انهُ كَلِب او غير كَلِب فيعالج الذين عقرهم علاج الكَلَب اذا ثبت ان الكلب كَلِبٌ ويطلق سبيلهم اذا ثبت انهُ غير كَلِب

ويقال في هذا التقرير ان داء الكَلَب لم يكن معروفًا في القطر المصري سنة ١٨٨٦ الَّا بحادثة واحدة حدثت في القاهرة ولذلك ارتأى مدير القسم البيطري ان يضرب الحجر الصحي على كل الكلاب الواردة الى القطر المصري مدة اربعة اشهر منعًا لدخول داء الكلب اليهِ لكن لم يُعمل برأيهِ . ولعلهُ لو دقق النظر في هذا الرأي لوجد ان العمل بهِ ضرب من المحال فضلاً عن ان داء الكلب قد يكمن في الحيوان سنتين قبل ظهورهِ

(٢) الجمرة الخبيثة . مات بهذا الداء ٢٦٢ خروفًا في الاسكندريَّة و١٧ خروفًا في بورت سعيد وفرس واحد في القاهرة. والغنم التي ماتت بهِ وارد اكثرها من سوريَّة وقد قرر اطباء الصحة في سوريَّة وجود هذا الداء فيها في العاشر من شهر نوفمبر مع انهُ كان فيها قبل ذلك باربعة اشهر

(٣) الخناق . قيل في التقرير ان منشأ هذا المرض البرك فاذا وردت المواشي مياه النيل لم تصب بهِ

(٤) السقاوة والسراحة. اصيب بهما نحو اربعين فرساً في اسطبلات مصر والاسكندرية

القسم الطبي الهندسي

على هذا القسم مراقبة المباني الاميريَّة حتى تكون مستوفية الشرائط الصحيَّة ومراقبة غيرها من المباني والشوارع لهذه الغاية ويتبعهُ كلام على مجارير القاهرة والقوانين الصحيَّة. ويظهر لنا ان الموكول اليهم هذا الامر لم يدرسوا طبيعة الاقليم وعلم الميكروبات حق الدرس ولذلك يخبطون خبط عشواء في بعض المسائل الصحيَّة مثال ذلك طلبهم ان تكون "خزانات" المراحيض "صماء" لكي لا تتخلل موادها الارض وتفسدها. فلا ندري كيف علموا ان ميكروب الفساد او غيرهُ من الميكروبات التي في القاذورات تبقى حيَّة اذا غارت في الارض والارض اقوى مطهّر للفساد ولا ندري ايضاً ما هي مزيَّة "الخزانات الصماء" على غير الصماء الَّا تجمع المواد الفاسدة فيها والاضطرار الى كسحها كل برهة وجيزة. ولا شبهة في ان الغازات المتصعدة من المراحيض غير الصماء كريهة جدًّا وقد تكون ضارَّة ايضاً لكن هذه الغازات تتصعد ايضاً ولو كانت الخزانات صماء بل هي اكثر اذا كانت صماء منها اذا كانت غير صماء ولا تتلافى الَّا بمص اعقف يحفظ الماء وبتوسيع كوى المراحيض حتى يدخلها كثير من الهواء وشعاع الشمس

الامراض المعدية

لا شبهة في ان التطعيم من اكبر الوسائط لمنع مرض الجدري وقد بذلت مصلحة الصحة جهدها في انتشار التطعيم في القطر كلهِ ولكننا نخشى من ان الطعم الذي تجلبهُ من اوربا غير وافٍ بالغرض فقد طعمنا ابنةً من اولادنا بطعم من طعومها فأُصيبت بنفاط جلدي لم تشفَ منهُ تماماً حتى الآن مع استخدام الوسائط العلاجيَّة الكثيرة وطعمناها قبل ذلك بطعم آخر فلم يظهر اثرهُ فيها. ولم يزل مرض الجدري منتشرًا في القطر ولو على قلة فقد بلغ عدد الذين أُصيبوا بهِ سنة ١٨٩٢ ووصل خبرهم الى مصلحة الصحة ١٤٩١ نفساً توفي منهم ٣٠٢. وبلغ عدد المصابين بالتيفوس ٧٧٥ توفي منهم ١٧٦ وعدد المصابين بالحصبة ١٣٧ توفي منهم ٢٨ وعدد المصابين بالانفلونزا ٥٢٤ توفي منهم ٣٠. وأشدُّ فعل الجدري في السويس ودمياط وعزبة السمجة من مديريَّة الدقهليَّة والكلح وادفو من مديرية الحدود فقد أُصيب بهِ في السويس ٧٦ مات منهم ٢١. وفي دمياط ٥٨ مات منهم ٢١. وفي عزبة السمجة ١٠٨ مات منهم ٢٥. وفي الكلح ٩٣ مات منهم ٢٤. وفي ادفو ٦٢ مات منهم ٢١. والتيفوس أشد فتكهِ في دمياط فقد اصيب بهِ ١٨٠ مات منهم ٩٨. ومن

الغريب ان اشد انتشار الانفلونزا كان في وادي حلفا فاصيب بها ٣٠٨ مات منهم ٩

وقد ختم مدير مصلحة الصحة تقريرهُ بكلام نوءثرهُ عنهُ لاهميتهِ وهو قولهُ " ان نظارة الماليَّة تفتخر بتخفيف الضرائب ويحق لها ذلك لكن في القطر ضريبةً ثقيلة من شأنها استنزاف حياة الناس وهي ضريبة الموت بالامراض التي يمكن منعها فان متوسط الوفيات في هذا القطر المشهور بجودة هوائهِ يبلغ اربعين في الالف وذلك دليل قاطع على ان مجال الاصلاح واسع جدًّا ولا سبيل لازالة الاسباب التي تدعو الى كثرة الوفيات الاَّ بانفاق المال بسخاء وعلى الحكومة ان تحكم مَن المكلف بانفاق هذا المال أَلحكومة نفسها أَم الشعب

وقد أُنفقت الاموال الطائلة مدة السنين العشر الماضية على اعمال الري أَفلم يحن الوقت لانفاق مثل ذلك على اعمال الصحة فان المصلحتين نافعتان على حدٍّ سوى

واذا صممت الحكومة على اصلاح البلاد من حيث الصحة وجب عليها ان تلتفت الى الامور التالية وهي

اولاً. ان تسنَّ القوانين الصحيَّة البسيطة الموافقة للبلاد حتى يصير منها قانون صحي عامٌّ في المستقبل

ثانيًا. ان تنشأ مجالس بلدية في المدن الكبيرة واذا اعترضت دول اوربا على ذلك فينشأُ شيءٌ يقوم مقام المجالس البلديَّة حتي تنفق العوائد المحليَّة على المنافع المحليَّة

ثالثًا. ان يعين مال خاص (اعتماد) للاعمال الصحيَّة في البلاد كلها لاجل الاغراض التالية وهي تنقية ماء الشرب وانشاء المجارير وحلقات الاسماك وازالة كل ما يضرُّ بالصحة واذا اضيف هذا المال الى ميزانيَّة نظارة الاشغال العموميَّة وجب ان لا ينفق في سبيل آخر "

هذه خلاصة ما في هذا التقرير ولقد كان من حظ القطر المصري ان عين لادارته الصحيَّة رجل همام كسعادة رجرس باشا يجري في التدابير الصحيَّة مجرى الشعب الانكليزي الذي هو اول من اتقن هذه التدابير في اوربا وفاق بها غيرهُ من الشعوب

* * *

عدد الصيادلة

لكل مليون نفس من السكان في ايطاليا ٣٦٠ صيدلانيًّا وفي جرمانيا ١٣٣ صيدلانيًّا وفي بروسيا وحدها ١١٩ وفي بفاريا ١٥٥ وفي النمسا ٩٣

علاج الدفثيريا بزيت اليوكالبتوس

كتب الدكتور ميوريصن من القاهرة الى جريدة السجل الطبي الاميركيّة يقول انهُ رأى احد الاطباء الروسيين اشار بمعالجة الدفثيريا بزيت اليوكالبتوس فعالج بهِ اثنتي عشرة حادثة فكانت النتيجة حميدة جدًّا وجاراهُ في ذلك بعض الاطباء. وطريقة المعالجة ان يمزج جزءٌ من زيت اليوكالبتوس بثلاثة اجزاء من زيت اللوز ويعطي المصاب ملعقة شاي من المزيج كل ساعة. وقبل اعطاء الدواء يغرغر المصاب بالزيت النقي اذا كان كبيرًا واذا كان صغيرًا جدًّا يرش حلقهُ بهِ بالرشاشة ويحسن صب الزيت على قميص المصاب ووسادتهِ ووضع الزيت في صحاف في الغرفة التي هو فيها ولا بد من الانتباه الى حالة الامعاء واطعام المصاب قدر ما يستطيع ان يأكل وتكثير الهواء النقي في غرفتهِ. واذا ظهرت فيهِ اعراض السكر تقلل الجرعة الى ربع ما كانت عليهِ

اكل الاظافر

لا يخفى ان كثيرين من الاولاد يعتادون قرض اظافرهم باسنانهم وقد تبقى فيهم هذه العادة ولو بلغوا سن الشباب. وقد بحث الدكتور برلون الباريسي في شيوع هذه العادة وعلاقتها بآداب الاولاد واخلاقهم فوجد انها اكثر شيوعًا في البنات منها في الصبيان وانها تغلب بين السنة الثانية عشرة والرابعة عشرة من العمر. وان المصابين بها هم من افقر الاولاد واقلهم انتباهًا الى دروسهم واتقانًا لخطهم ولكن بعضهم قد ينبغ في بعض العلوم ويفوق اقرانهُ فيها وحينئذٍ يبطل هذه العادة في السنة الرابعة عشرة من عمرهِ او الخامسة عشرة. ويقال بنوع عام ان الاولاد الذين يأكلون اظافرهم هم اقل من غيرهم نجابةً واجتهادًا وتأدبًا

واشار الدكتور برلون ان يعالج هولاء الاولاد بجمعهم معًا في فرقة واحدة وتعهدهم بالطعام المغذي المقوي للاعصاب والرياضة المقوية للبدن ومنع التهييج من اطراف الانامل ومساعدة قوة الارادة حتى تتغلب على هذه العادة

ثوب يمنع العدوى

استنبط احد الاميركيين ثوبًا من الصمغ الهندي يلبسهُ الجرَّاحون عند اجراء العمليَّات الجراحيَّة في الادواء المعدية فلا تدخل ابدانهم جراثيم الداء ولعلهم يسدون انوفهم بشيءٍ من القطن حتى اذا دخلها الهواء دخل نقيًّا من جراثيم العدوى

خطر الاطباء

دعي طبيب في بلاد المجر لمعالجة ولد مصاب بالدفتيريا فعالجهُ وعاد الى بيتهِ ليبدل ثيابهُ بغيرها فلما دخل البيت اسرع اليهِ ابنهُ على جاري عادتهِ ووثب عليهِ وقبلهُ في وجههِ ولم يكن الآ يومان حتى اضيب هذا الولد بالدفتيريا ومات بها فجنَّ ابوهُ واصابهُ بحران شديد مات بهِ وكان يهذي قبل موتهِ ويقول دواماً قتلت ابني قتلت ابني

المناظرة والمراسلة

قد رأَينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

الطرح والتعديل

حضرات الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

لما كان كشف الخطإِ الشائع بتبيان الحقيقة خدمةً للعموم وتنزيهاً للعلوم من الشوائب جئتُ الآن بما خطر للذهن الكليل حتى اذا حسن وقعهُ عند حسَّابنا الكرام كان لي الحظ المطلوب من تلك الخدمة فاقول

الطرح والتعديل عبارة عن اجراء حساب بين شخصين لكل منهما قِبَل الآخر دين مؤَجل ارادا طرح الاقل من الاكثر وتعديل الباقي بالنظر الى الاستحقاق وتأجيلهُ باجل خاصٍ وذلك ليكون أَجل الباقي مقابلاً لتعادل المبلغين في الاستحقاق. وقاعدتهُ الموضوعة في كتبنا الحسابيَّة مبنيَّة على الفائدة. ولم اقف لاحد من الحسَّاب على برهانها على انهم لو تأَملوا فيهِ لفطنوا الى وجه فسادها وعدلوا عنها الى غيرها. وعليهِ فأَبسط هنا ما اراهُ من وجه بنائها وابيّن ما فيها من الخلل ثم اورد الطريقة الصحيحة العموميَّة

قاعدتهم — هي ان تضرب المبلغ الابعد اجلاً في فضل الاجلين اياماً وتقسم الحاصل على فضل المبلغين فما خرج فهو ايام فان كان المبلغ الاكثر اقرب اجلاً تحسبها وجوباً

للباقي قبل استحقاقهِ والاَّ فتأخيرًا لهُ بعد استحقاقهِ (الاقرب). وفي كشف الحجاب هي ان تضرب المبلغ الاقرب اجلاً في فضل الاجلين اياماً الخ . وفي هاتين القاعدتين الخلل الآتي بيانهُ وان كانت الثانية اقرب الى الصحة كما سيأتي . فالأولى مبنيَّة على تأخير الباقي او تقديمهِ عن الاجل الاقرب والثانية على تأخيرهِ او تقديمهِ عن الاجل الابعد كما يظهر للمتأمل

ولبيان وجه القاعدة وفسادها نقدم هذا المثال: لزيد على عمرو ٩٠٠٠ قرش تستحق في ٣٠ يوليو (تموز) سنة ٨٦ ولعمر على زيد ٧٠٠٠ تستحق في ١٦ ابريل (نيسان) سنة ٨٦ اتفقا على الطرح والتعديل ودفع الباقي في الاجل الاقرب حاسبين للمئة ٩ سنويًّا حسب القاعدة الاولى وهذه طريقة العمل عندهم

٩٠٠٠ المبلغ الابعد اجلاً

٩٥ فضل الاجلين اياماً

$\frac{١}{٢}$٤٢٧) ٨٥٥٠٠٠ (٢٠٠٠ فضل المبلغين

اي يجب دفع ٢٠٠٠ غرش بعد ١٦ ابريل باربع مئة وسبعة وعشرين يوماً ونصف يوم وبما ان المبلغ الاكثر ابعد اجلاً يجب تأخيرها عن الاجل الاقرب وحيث يطلب الدفع فيهِ يتم العمل بالتعجيل (حسب قاعدة الفائدة فيما اذا فرض مجموع الاصل والفائدة والاجل والمعدل وطلب الاصل وحدهُ او الفائدة وحدها) فيكون الجواب ١٨٠٦٬٨

وجه بناء القاعدة — لما ضربنا ٩٠٠٠ المبلغ الابعد في ٩٥ حصل ٨٥٥٠٠٠ وهي نمرهُ حتى اذا ضربت تلك النمر بعد قسمتها على مئة في المعدل (ونرمز اليهِ بالحرف م) حصلت الفائدة وهي ٨٥٥٠ × م ثم اعتبروا ان فضل المبلغين يجب ان يقدَّم عن الاجل الاقرب او يؤخر اياماً تكون فيها فائدتهُ بمقابلة فائدة المبلغ الابعد اجلاً ومساوية لها فاستخرجوا ذلك بحسب قاعدة الفائدة التي اذا فرضت كميَّة الفائدة مع ركنين آخرين من الاجل او المعدل او الاصل وطلب واحد منها يستخرج بها بضرب كمية الفائدة في مئة وقسمة الحاصل على حاصل المفروضين الآخرين ففضل المبلغين هنا اي الالفان هو الاصل والمعدل هو م وكميَّة الفائدة هي ٨٥٥٠ × م فيكون الاجل

$\frac{١٠٠ \times م \times ٨٥٥٠}{م \times ٢٠٠٠}$ بالقسمة على م يكون الاجل

$\frac{١}{٢}$٤٢٧) ٨٥٥٠٠٠ (٢٠٠٠

اي فائدة الالفين في ٤٢٧ يوماً ونصف يوم مثل فائدة ٩٠٠٠ في ٩٥ يوماً ثم ان تقديم فضل المبلغين او تأخيرهُ بقدر ايام الاجل قد جعل بدلاً من فائدة المبلغ الابعد فان كان صاحب هذا الفضل اي المبلغ الاكثر هو الابعد اجلاً وجب اسقاط الفائدة منهُ او بالتالي من الفضل بترجيعهِ الى الاقرب وان كان هو الاقرب اجلاً وجب ضم الفائدة اليهِ او بالتالي الى الفضل بمقابلة الفائدة اللازمة اسقاطها من المبلغ الابعد

وجه الخلل — هو ان القاعدة مبنيَّة على اخذ فائدة المبلغ الابعد وايجاد أجل الفضل الذي فيهِ تكون الفائدتان متساويتين كما بيَّنَّاهُ بقولنا (اي فائدة ٢٠٠٠ في ٤٢٧ يوماً ونصف يوم مثل فائدة ٩٠٠٠ في ٩٥ يوماً) فاولاً يوجد خطأ في القاعدة باخذ الفائدة للمبلغ الابعد اجلاً والصواب تعجيلهُ بترجيعهِ الى الاقرب ومعلوم ان فائدة مبلغ في مدة اكثر من القيمة التي تسقط منهُ بطريقة التعجيل في تلك المدة نفسها. ثانياً اذا كان المبلغ الاكثر ابعد اجلاً حصل فرق آخر غير السابق وهو الفرق بين قيمة فائدة فضل المبلغين في الاجل المستخرج وقيمة تعجيلهِ في تلك المدة لان الحالة حينئذٍ تقتضي تعجيلهُ في مدة الاجل المستخرج والقاعدة مبنية على جعل تلك المدة لفائدتهِ لا لتعجيلهِ ففي المثال المتقدم من حيث ان المبلغ الابعد هو الاكثر حدث فيهِ الخللان المذكوران ففائدة ٩٠٠٠ في ٩٥ يوماً هي ٢١٣$\frac{٣}{٤}$ والقيمة اللازم اسقاطها منهُ بالتعجيل ٢٠٨،٨ والفرق بينهما ٤،٩٥ وكذلك فائدة ٢٠٠٠ في ٤٢٧ يوماً ونصف ٢١٣$\frac{٣}{٤}$ والقيمة اللازم اسقاطها بالتعجيل ١٩٣،٢ والفرق بينهما ٢٠،٥٥ وبما ان الفرق الاول أُلحق الى الثاني نطرحهُ منهُ فيبقى ١٥،٦ وهي مقدار الخطإِ بين الجواب المتقدم والجواب الصحيح حسب القاعدة الآتية وهو ١٧٩١،٢ تدفع في الاجل الاقرب

اما القاعدة الثانية فان كان المبلغ الاكثر هو الاقرب اجلاً كان الجواب فيها صحيحاً اذ نكون قد اخذنا فائدة المبلغ ذي الاجل الاقرب حتى ساوى الابعد في الزمن ثم نقلنا تلك الفائدة الى الفضل بايجاد اجلهِ والحالة حينئذٍ تقتضي ذلك وان كان (المبلغ الاكثر) هو الابعد حصل خلل كما تقدَّم اذ الايام المستخرجة هي الاجل الذي فيهِ تكون فائدة فضل المبلغين مساوية لفائدة المبلغ الاقرب بمدة فضل الاجلين مع ان الحالة حينئذٍ تقتضي تعجيلهُ فيحدث الخلل بمقدار الفرق بين قيمة الفائدة المذكورة والقيمة المسقطة بالتعجيل ففي المثال السابق حسب هذه القاعدة يكون الجواب ١٨٤٦،٥ بعد التعجيل وفيهِ خلل بمقدار الفرق بين فائدة ٢٠٠٠ في ٣٣٢ يوماً ونصف وهي ١٦٦،٢٥ وبين

القيمة المسقطة بالتجيل وهي ١٥٣٫٥ اي الفرق ١٢٫٧٥ عن الجواب الحقيقي فالجواب الصحيح ١٨٣٣٫٧٥ا في الاجل الابعد

القاعدة الصحيحة العامة — هي ان ترجع كلاًّ من المبلغين الى يوم اجراء المحاسبة اي بضم الفائدة الى المبلغ الاقرب في مدة فضل الاجلين اذا جرت المحاسبة في الاجل الابعد او بتجيل المبلغ الابعد في تلك المدة اذا جرت في الاجل الاقرب او بترجيع كلّ من المبلغين بالفائدة او التجيل حسب اللزوم اذا جرت في غير آجال الاستحقاق وحينئذٍ يستوي المبلغان في الزمن فتطرح الاقل من الاكثر فيكون الجواب

بيروت جبران ميخايل فوتية

الأَجنّة والوحام

حضرات الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اطلعت على اقتراحكم المدرج في الجزء الثاني من السنة الثامنة عشرة من المقتطف تحت عنوان الحوامل والاجنة والوحام. وقد طلبتم من القراء ان يكتبوا اليكم عن كل ما يعلمونهُ من هذا القبيل وان يراقبوا ذلك في المستقبل مراقبة دقيقة ويكتبوا ما يرون سواءٌ كان مطابقاً لما ذكرتم او مخالفاً لهُ . وانا اعرف ولدًا نسيبًا لي لما كانت امهُ حبلى بهِ كان في منزلها سلحفاة وكانت السلحفاة تدخل رأسها في ترسها كلما رأت انسانًا مقبلاً اليها . وكانت المرأة ترى هذه السلحفاة يوميًا وتستغرب خلقها على هذه الصورة فلما ولدت ابنها اذا بهِ شبيهًا بالسلحفاة في مدّ رأسهِ وإرجاعهِ الى الوراء وقد بلغ الآن اثنتي عشرة سنة من العمر ولا يزال يمشي كالسكران فيمد رأسهُ الى الامام تارةً ثم يرجعهُ الى الوراء اخرى كما تفعل السلحفاة

وأعرف ولدًا آخر رأت امهُ البطيخ الاحمر في غير اوانهِ واشتهتهُ ولم تنلهُ فولد وأحدُ وجهيهِ احمر كالبطيخ

مصر محمَّد عمر

« المقتطف » ان ما يروى من قبيل الحادثة الثانية كثيرٌ جدًّا وقد شاهدنا بعض الآثار التي يُزعم انها من آثار الوحام فلم نرَ فيها المشابهة للشيء الذي يزعم انها تشبههُ . والمرجح عندنا انها آثار خلقيّة لا علاقة لها بالوحام على الاطلاق وان الشيء الذي يقال انها تشبههُ لم يخطر على البال الاَّ بعد روية الآثار في الجنين فزعمت امهُ وذووها انها توحمت عليهِ تفسيرًا لهذه الآثار التي يرونها ولا يعلمون سببها . اما الحادثة الاولى فغريبة في

بابها ويحتمل ان يكون فيها شيء من الصحة وهي من قبيل ما نطلب البحث عنهُ وجمع الشواهد عليهِ ولا نزال نطلب من حضرات القراء ان يراقبوا تأْثير احوال الحوامل الادبيَّة بأَجنتهنَّ

صحة الاحلام

حضرة منشئي المقتطف الاغر

طالعتُ اقتراح احد القراء الكرام في الجزء الثاني من المقتطف وهاكم نادرة حدثت لي تنطبق على ما يقال من صحة الاحلام. ذلك انني حلمت يومًا ان عمتي اتت الى المدينة التي كنت فيها وقابلتني في مكان كنتُ اتردَّد عليهِ يوميًّا وكان سكن عمتي في مدينة اخرى ولم اكن رأَيتها منذ عدة سنين. ورأَيتها في حلمي نحيفة على غير عادتها. وفي اليوم التالي ذهبتُ الى ذلك المكان على حسب عادتي ولم اقم فيهِ طويلاً حتى اقبلتْ عمتي واذا بها نحيفة كما رأَيتها في الحلم وكلمتني بالكلام الذي سمعتهُ منها ليلاً

بيروت س · م

«المقتطف» الحوادث التي من هذا القبيل كثيرة ولا تخلو من مظنة الشك لان الانسان قد يرى حادثة فيتوهم انهُ حلم بها او هدس بها قبل حدوثها . ولا يزول هذا الشك الاَّ بان يقوم من نومهِ على اثر الحلم ويكتبهُ ويضع تاريخ اليوم ويشهد على ذلك شاهدًا او شاهدين ثم ينتظر حدوث الحادثة فاذا حدثت على حسب الحلم يكتب تفصيلها مع تفصيل الحلم ويبعث بهما الينا خدمة للعلم واثباتًا لهذا المبحث الذي لا تخفى اهميتهُ على احد

جواب السؤَال اللغوي

قد اطلعت في الجزء الثاني من مقتطف هذه السنة على سؤَال لغوي لحضرة الفاضل السيد احمد رافع هذا لفظهُ (هل ورد جمع فَعْلان بفتح الفاء وسكون العين على فِعْلان بكسر الفاء وسكون العين الخ) واني بعد شدَّة البحث لم اقف على ورود ذلك الاَّ في اسمين احدهما (صَفْوَان) اسم للحجر الاملس فانهُ يجمع على صِفْوَان بالكسر كما حكاهُ الامام الحريري في كتابهِ درة الغواص وثانيها (كَرْوان) اسم طائر صغير اغبر اللون طويل الرجلين لهُ صوت حسن فانهُ يجمع على كِرْوان كما قال ذو الرمة من قصيدة مدح بها بلال ابن ابي بردة ابن ابي موسى الاشعري

من َال ابي موسى ترى القوم حولهُ   كأَنهم الكِرْوانُ أَبصرنَ بازيا

ولكن هذا على ان المفرد بفتح الكاف وسكون الراء كما يقتضيهِ صنيع صاحب القاموس المحيط ويفيدهُ كلام الشهاب الخفاجي في شرح الدرة. والمعروف الذي صرح بهِ غير واحد من ائمة اللغة انهُ بفتحهما وعلى هذا يكون جمعهُ على كروان من قبيل جمع فَعلان بفتح الفاء والعين على فِعْلان بكسر الفاء وسكون العين واني اسأَل حضرتهُ هل لهذا الجمع نظائر ارجو منهُ الافادة عنها او عن شيءٍ منها ولهُ الفضل الوافر

طهطا
عبد العزيز احمد الانصاري

بابُ الزراعة

حرث الارض لزرع القطن

كتب جناب المسترولس رئيس المدرسة الزراعية المصريّة في الغازت الغراء فصلاً في كيفية حرث الارض لاجل زرع القطن قال فيهِ ما ترجمتهُ

ان أَهم اعمال الزراعة في هذا الفصل حرث الارض لاجل زرع القطن. ولكيفية الحرث دخل كبير في الموسم المقبل فانهُ يجب ان يكون الحرث عميقاً وان تنعَّم الارض بقدر الامكان حتى يتخلل اكسجين الهواء دقائق التربة الى عمق ٣٠ او ٣٣ سنتيمتراً ويتصل بكل دقيقة منها ويجعل ما فيها من الغذاء صالحاً لتغذية النبات ومرادي أَن أُبيّن كيفيَّة ذلك في السطور التالية

المحراث * لايرى احد المحراث المصري حتى يهزأ بهِ من اول وهلة ومن قال كلمةً في مدحهِ عرَّض نفسهُ للازدراء. وعندي ان لهذ المحراث معايب كثيرة ولهُ ايضاً حسنات كثيرة فهو رخيص الثمن ثمنهُ نحو خمسين غرشاً ولذلك يسهل ابتياعهُ على افقر الفلاحين. وفيهِ سكة تغور في الارض اكثر من غيرها ويستطيع ثوران أَن يجرَّاها ويمكن ان تحرث الارض بها حرثاً سطحيًّا فقط اذا اريد ذلك. وقد حاول كثيرون ان يبدلوا هذا المحراث بغيرهِ في الهند وسيلان ومصر فذهب تعبهم سدَى

وقد وجدتُ الآن شكلاً من المحراث الاوربي لايغني عن المحراث الوطني ولكن يمكن استعمالهُ معهُ فتتحسن الحراثة جدًّا ويزيد بها موسم القطن خصباً. والمحراث المصري ليس

محراثًا حسب عرف الاوربيين بل هو نوع من آلات العزق. فهو يشق الارض ولكنهُ لا يقلبها كما يقلبها المحراث الاوربي وقد فشل الذين حاولوا ابدال المحراث الوطني بالمحراث الاوربي لان لكلٍّ منهما فائدة خاصة بهِ فلا يقوم احدهما مقام الآخر ولذلك يجب ان يُستعمل الاثنان معًا في بلاد المشرق كما يستعمل المحراث والمعزق في بلاد المغرب اذا أُريد ان تحرَث الارض جيدًا. ويعسر جرُّ المحراث الوطني لثخن الجزء الذي يغور منهُ في الارض ولاسيما اذا كانت الارض صلبة حتى ان حرث الارض بهِ مرةً ومرتين قد لا يكفي لقلب كل الطبقة العليا من التربة. وكثيرًا ما يبقى في الارض قطع لم تحرث ولو أُعيد حرث الارض مرارًا ولاسيما اذا كانت جافة صلبة كما تكون الاراضي المصريَّة احيانًا. ولذلك فالمحراث الاوربي خير من الوطني لمعالجة سطح الارض والمحراث الوطني خير من الاوربي لمعالجة ما تحت سطحها لان المحراث الاوربي وحدهُ يقلب الارض قلبًا فينطمر ترابها السطحي ويظهر التراب الذي تحتهُ وهو في الغالب محتوٍ على املاح مضرَّة بالنبات وموادهُ غير صالحة للزراعة فيُبعِد عن النبات الصغير التراب السطحي الذي فيهِ كثير من الغذاء المعد لتغذية النبات . ولا يحسن ان يقلب من الارض الاَّ طبقة سمكها ١٥ سنتيمترًا الى ١٨ سنتيمترًا لا اكثر من ذلك

واذ قد تقررت هذه المبادئ الرئيسة فقد يظن انهُ يسهل علينا ان نجد محراثًا يفي بالغرض لكن الامر ليس كذلك بل لا بدَّ من اعتبار امور أُخرى. وقد جربتُ سبعة محاريث مختلفة مدة ادارتي للارض المتصلة بالمدرسة الزراعيَّة فوجدت واحدًا منها فقط وافيًا بالغرض وهذا لم يفِ بالغرض جيدًا الاَّ بعد ان صنعت سكتهُ على اسلوب خاص وهي تقلب التراب الى جهة واحدة فقط فتبقى الارض بعد حرثها بهِ مستوية تمام الاستواء لا اتلام فيها. ويسهل على ثورين ان يجرا هذا المحراث ويحرثا بهِ ثلثي فدان كل يوم. وقد اذن لي سمو الخديوي المعظم في العام الماضي ان استعمل هذا المحراث في بستان القبة فسر سموهُ بهِ وامر ان تصنع تسعة محاريث مثلهُ لبستان القبة . ولم تسمح لي ماليَّة المدرسة الزراعيَّة ان ابتاع لها محاريث من هذا النوع ولكن سموَّهُ قد اعار المدرسة هذه السنة عدة محاريث لاجل تجربتها واشهارها وسنجربها في ارضها ونحرث جانبًا من الارض بالمحراث المصري لنقابل بين نتيجة المحراثين

وطريقة الحرث بهذا المحراث كما يأتي يجرُّ المحراث الاوربي بثورين فيقلب تلمًا عرضهُ ٢٥ سنتمترًا وعمقهُ ١٥ سنتمترًا ويجرُّ على اثر المحراث الاوربي تمامًا محراث مصري في

التلم نفسهِ فيشق الارض عشرة سنتمترات اخرى فيصير عمق التلم ٢٥ سنتمتراً ثم تمهد الارض بمحدلة كرُسجل Crossgill Roller وتحرث ايضاً مرتين بمحراث مصري قوي طويل السلاح حتى تعمق الاتلام ٣٣ سنتمتراً. واذا كانت الارض خفيفة سهلة التفتُّت امكن الاستغناء عن هذا الحرث. ثم تقطع اتلاماً (خطوطاً) وتترك الى وقت الزرع وحينئذٍ تشق اعالي الاتلام (المصاطب) فيتكون منها اتلام اخرى. واذا كانت الارض معدة لزراعة القطن وجب ان لا تترك مستوية مدة طويلة بل تجعل اتلاماً كما تقدم ليتسع السطح المعرض منها لفعل الهواء وينحل

وثمن سكة هذا المحراث الاوربي ثمانية جنيهات في انكلترا وثمن النير وبقيَّة اللوازم جنيه وسيستعمل في اراضي المدرسة الزراعيَّة الى اواخر الشهر المقبل

استخراج السمن

بقلم حضرة محمَّد افندي زكي عبد الوهاب احد تلامذة مدرسة الزراعة

لا يخفى ان اللبن من خير حاصلات الدوائر الزراعيَّة فاذا كان البلد بقرب المدن فالراجح ان يباع اللبن فيها من غير صناعة واما اذا كان البلد بعيداً عن المدن اضطرَّ الفلاح ان يصنع من اللبن سمناً او جبناً او سمناً وجبناً معاً. ومهما يكن من الامر فلا بد لحالب اللبن من مراعاة الامور التالية وهي. اولاً ان يستخرج في كل حلبة كل اللبن الذي في ضرع البقرة والاَّ جعل لبنها ينقص رويدًا رويدًا. ثانياً ان يغسل ضرع البقرة بالماء قبل ان يحلبها لان ذلك يساعد على تكثير اللبن وعلى بقاء المواد الدهنيَّة فيهِ من غير ان يعتريهُ الفساد. ثالثاً ان يمتنع عن حلب البقرة قبل ولادتها بشهر ولو بقي اللبن فيها. ولا يخفى ان ما يصدق على البقرة يصدق على الجاموسة ايضاً. رابعاً ان يحافظ على النظافة التامة في جميع الآنية المستعملة في السوتخانة اي المكان المعد للعمل. فاذا اراد حفظ اللبن مدة طويلة وجب عليهِ ان يضعهُ في مكان رطب محجوباً عن اشعة الشمس ومعرَّضاً للريح الشمالية بقدر الامكان بشرط ان يمنع عنهُ الذباب لانهُ اذا باض فيهِ فسد. ويغلى اللبن كل يوم اغلاءً خفيفاً واذا وجد بي كربونات الصودا يوضع منهُ قدر جرام في كل ليترين او ثلاثة من اللبن

اما السمن فيستخرج من الزبدة واول طبقة تظهر على اللبن من القشدة هي الاجود لاستخراج الزبدة. اما الزبدة المستخرجة من القشدة التي تطفو على وجه اللبن بعد ست

ساعات او اثنتي عشرة ساعة الى اربع وعشرين ساعة فيكون فيها ميل الى الفساد بما يكون فيها من اللبن . وتستخرج القشدة من اللبن بمجرَّد افراغ اللبن من اناء الى آخر فتبقى القشدة في الاناء الاول وخير من ذلك ان يكون في اسفل الاناء حنفيةٌ يصب اللبن منها فتبقى القشدة فيهِ. وتستخرج الزبدة من القشدة بالمخض. واحسن وقت لمخض القشدة في فصل الصيف الصباح والعشاء وفي فصل الشتاء وسط النهار ويجب ان يكون المخض منتظماً غير منقطع وان تكون الممخضة نظيفة ومتى تكوَّنت الزبدة وجب غسلها ومعالجتها بقطعة خشب عريضة حتى تتصفى وتنقى مما فيها من اللبن ولا بد من ان يجري هذا العمل بسرعة حتى لا يدخل الزبدة مقدار كبير من الهواء لانها تزنخ بهِ

واذا اريد الاكثار من الزبدة وجب الاعتناء بالبهائم ومعلوم ان لغذاء البهائم اشد علاقة باللبن والزبدة فاذا كانت البهائم جيدة الصحة والغذاء مسوَّمة في المراعي الخصبة الكثيرة النبات كان لبنها غزيرًا جيدًا واما اذا كانت محبوسة في مزاربها قليلة العلف كان لبنها غير جيد وسمنها ابيض او محبباً

تعاقب الزرع

أَبنَّا مرارًا كثيرة ان جزءًا صغيرًا من الارض يقبل الذوبان في الماء وهذا الجزء هو الذي يدخل في بنية النبات غذاءً لهُ واما بقيَّة اجزاء التراب التي لا تذوب في الماء فلا سبيل لها لدخول بنية النبات فلا يغتذي بها مهما كان نوعها ولكن الاجزاء التي لا تذوب اليوم في الماء تتحول بعد حين بفعل الحرارة والنور والميكروبات ونحو ذلك من الفواعل الطبيعيَّة الى صورة تقبل فيها الذوبان في الماء فتصير صالحة لتغذية النبات . فاذا توالى زرع الارض من نوع واحد من النبات سنةً بعد اخرى فالاجزاء التي يمتصها ذلك النبات من الارض ويغتذي بها تقل من الارض رويدًا رويدًا حتى لا يعود ما يتكوَّن منها بواسطة الفواعل الطبيعيَّة كافياً ليسد مسدَّ ما يأخذهُ النبات فيقل خصب ذلك النبات فيها ولو اخصب فيها نبات آخر غيرهُ . ويمكن ان تداوى هذه العلة بان تزرع الارض سنةً وتترك سنة بلا زرع فتسترد في السنة التي استراحت فيها ما خسرتهُ في السنة التي زُرعت فيها. اي ان الفواعل الطبيعيَّة تفعل بها في سنة الراحة فعلاً يكوّن فيها مركبات قابلة الذوبان من نوع ما اخذهُ النبات منها في السنة السابقة . هذا اذا امكن الاستغناء عن زرع الارض سنة من كل سنتين اما اذا كانت الارض ضيقة النطاق كاراضي القطر

المصري بالنسبة الى سكانهِ فلا يمكن زرع نصف الارض وترك نصفها ليرتاح من الزراعة بل لا بد من زرعها كلها مرةً او مرتين في السنة وحينئذٍ تدعو الحال الى ان يعاقَب عليها نوعان او ثلاثة من المزروعات اي ان تزرع هذه السنة نوعاً وتزرع في السنة الثانية نوعاً ثانياً وفي الثالثة نوعاً ثالثاً ثم يعاد زرع النوع الاول فيها في السنة الرابعة وهلمَّ جرًّا

ومن اول شروط المعاقبة في الزرع ان لا يزرع في الارض موسمان من الحبوب في سنتين متواليتين بل يفصل بينهما بسنة تزرع الارض فيها برسيماً او فولاً او نحو ذلك من المزروعات التي لا تضعف الارض كثيرًا او غيرها من المزروعات التي تقتضي كثيرًا من السماد والعزق فتخدم الارض جيدًا بسببها

ولتعاقب المزروعات فائدتان اخريان الاولى ان تغيُّر خدمة الارض بتغير المزروعات يعرّض اجزاءً جديدة منها كل سنة لفعل الهواء وحرارة الشمس فتنحلُّ وتصير غذاءً صالحاً لتغذية النبات والثاني ان الحشرات والضربات التي تنتاب نوعاً من النبات لا تنتاب غيرهُ فاذا تكرر فيها زرع نبات واحد تأصّلت فيها هذه الحشرات واما اذا تغيرت المزروعات فالمرجح ان تلك الحشرات تنقرض منها

السماد الجيري (الكلسي)

الجير (الكلس) عنصر مهم من عناصر النبات وهو كثير في اكثر الاراضي ولكنهُ قليل في اكثر اراضي القطر المصري فاذا كانت الارض طفاليَّة حسن ان يضاف اليها شيءٌ من الجير إما في حالهِ الطبيعيَّة قبل حرقهِ او بعد حرقهِ واذا استعمل بعد حرقهِ فيحسن ان يستعمل قبل اطفائهِ بالماء او بعد اطفائهِ وهو في الحالين يعدِّل حوامض الارض ويركِّب منها مركبات نافعة . ولا بدَّ من ان يذرَّ الجير على وجه الارض لانهُ ميَّال الى الغور فيها من نفسهِ. ومن الجير مركب يسمى جبسيناً وهو كبريتات الجير وقد رأينا كثيرًا منهُ في جبل المقطم الى الشرق من القاهرة ولا يبعد ان يكون فيهِ شيءٌ من الفصفات وسواءٌ كانت الفصفات فيهِ او لم تكن فهو سماد جيد للبطاطس

السماد البوتاسي

البوتاسا عنصر ضروري للنباتات كما ظهر من وجودها في رماد كل النباتات وهي كثيرة في الارض طبعاً ولا تقلُّ الَّا اذا زرعت الارض سنين متوالية بغير ان ترتاح

وحينئذٍ يجب ان تسمد بسماد بوتاسي كاتربة الكيمان الكثيرة في القطر المصري فان مركبات البوتاسا كثيرة فيها

الملح

ملح الطعام يستعمل سماداً للنبات التي تعيش في سواحل البحار اذا زرعت بعيدةً عنها كقصب السكر والنارجيل وقد اثبت بعضهم انهُ كان يصبُّ قليلاً من ماء الملح في الحفر التي يزرع فيها عقل قصب السكر فجاد القصب كثيراً

مسائل واجوبتها

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف • ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) محلة روح . الدكتور علي افندي سري . هل يوجد دواء شافٍ لداء الجذام

ج لم يكتَشف دواء شافٍ لداء الجذام حتى الان لكن ظهر من بحث اللجنة التي عُينت للبحث عنهُ في بلاد الهند ان زيت الشولموغرا Chaulmoogra والزرنيخ انفع ما يستعمل فيهِ . وذكر بعضهم انهُ جرب كلورات البوتاسا من الباطن بمقادير عظيمة في مجذومَين فتحسنت حالتهما كثيراً وكان يعطي العلاج بمقدار ١٠ غرامات الى ٢٠ غراماً في اليوم فاحدث الكلورات اعراضاً سميَّة شديدة وبعد زوال هذه الاعراض كادت اعراض الجذام تزول تماماً

(٢) ومنهُ . هل توجد آلة مستعملة لندف القطن غير القوس والوتر اللذين يستعملهما المنجدون في بلادنا واين توجد هذه الآلة

ج ان معامل القطن في اوربا واميركا لا تستعمل القوس والوتر لندف القطن بل تستعمل آلة فيها دولاب كبير محاط باسنان دقيقة عقفاء يحيط بهِ دواليب صغيرة محاطة باسنان دقيقة ايضاً حتى يبلغ عدد الاسنان في هذه الدواليب ستة او سبعة ملايين سن فيعالج القطن اولاً بآلتين فيهما اساطين لها اسنان مدملكة تدور بسرعة عظيمة فتنظف القطن وتبسطهُ بسائط وهناك منفخ ينفخ الهواء بشدة لاطارة

التراب والغبار من القطن ثم تجري هذه البسائط الى آلة الندافة وتمر بين اسنان دواليبها فتتفرق الياف القطن بعضها عن بعض ويصير منها حبل دقيق مستوٍ من القطن المندوف. ويمكن ان تطلب هذه الآلة من احد عملاء معامل انكلترا باسم Carding-engine

(٣) ومنهُ يختلف الناس في كيفيَّة تسميد ارض القطن فبعضهم يرش السماد على الارض قبل ريها وبعضهم يرشهُ بعد الخدمة وقبل التخطيط والبعض يضع السماد بعد ظهور نبات القطن فاي الاساليب اكثر فائدة

ج يظهر ممَّا كتبهُ قلم الزراعة الذي كان متصلاً بنظارة الاشغال المصريَّة سنة ١٨٨١ ان وضع الزبل على الارض قبل زرعها ووضعهُ في اصول الزرع عند تخفيفهِ (خلهِ) سيَّان في الفائدة

(٤) مصر . سليم اغا راسم . ذكرتم في الصفحة ٨٢٦ من السنة الماضية انهُ اذا اتقنت زراعة جوز الهند اثمر في السنة السابعة فارجوكم ان تصفوا لنا كيفيَّة زراعة جوز الهند بالتفصيل

ج ان في ما ذكر في المقتطف خطأً والصواب جوز الطيب لا جوز الهند ولم نهتم باصلاح هذا الخطإ لمعرفتهِ من القرينة لان الفصل كلهُ على زراعة جوز الطيب. اما جوز الهند او النارجيل فقد كتبنا فيهِ فصلاً مسهباً في الجزء السادس من السنة السابعة عشرة وسنفصل كيفيَّة زراعتهِ ايضاً في جزءٍ تالٍ

(٥) حلوان . احد قراء المقتطف . هل يوجد كتاب مذكورة فيهِ صفات الخيل وما يتعلق بسياستها

ج في العربيَّة كتاب الصافنات الجياد طبع بيروت يفي ببعض المطلوب وفي الفرنسويَّة كتاب غوير والكس Le Cheval. Guyer & Alix, Paris, 1886. وبالانكليزيَّة كتاب سدني Sidney new ed. 1887.

(٦) منفلوط . الدكتور ابرهيم افندي سليمان . اخبرني حضرة رصيفي الدكتور خليل افندي شكري مفتش صحة منفلوط عن اساتذتهِ في مدرسة الطب ان الدكتور ديبوى الفرنسوي وجد بتجاربهِ ومشاهداتهِ انهُ اذا كان البكر ذكرًا وتم العلوق بعدهُ بعد الحيض الاول او الثالث او الخامس او السابع اي بعد الحيض الوتري كان المولود الثاني ذكرًا ايضاً واذا تمَّ العلوق بعد الحيض الثاني او الرابع او السادس او الثامن (اي الحيض الشفعي) كان المولود الثاني انثى والامر على ضد ذلك اذا كان المولود الاول انثى فهل ذلك صحيح

ج اننا لم نقف على ذلك في كتاب من الكتب التي عندنا وخلاصة ما وقفنا عليهِ

في هذا الموضوع مذكورة في صدر باب الصحة والعلاج في هذا الجزء واذا صحَّ ما ذكرناهُ هناك (وصحتهُ مرجحة عندنا) كان المنقول عن الدكتور ديبوى غير صحيح لان البيضة بحسب ما ذكرنا تستحيل الى ذكر او انثى بحسب قربها من زمن الحيض لا بحسب كونهِ وترًا او شفعاً

(٧) طرطوس. رشيد افندي غازي . هل داء التدرُّن وداء الخنازيري داء واحد ومن اثبت ذلك وهل هذا الاثبات معتبر عند جلة الاطباء ويحسن ان يعوَّل عليهِ

ج اكتشف الدكتور كوخ الالماني ميكروب السل او التدرُّن سنة ١٨٨٢ فنازعهُ الاطباء في صحة اكتشافهِ مدةً كما ترون في صفحات المقتطف ثم اذعنوا لهُ وقد اثبت ان باشلس السل موجود ايضاً في الغدد الخنازيريَّة فعدَّ الخنازيري من قبيل التدرُّن وجمهور الاطباء على ذلك الان ولكن بعضهم لم يزل يخالفهُ او يرتاب فيهِ ويقول البعض ان وجود الباشلس هنالك عرَض لاسبب. ولا يخفى ان موافقة الجمهور اولى في المسائل الخلافيَّة . وقد ظهر حديثاً ان العلاج الذي اكتشفهُ كوخ للتدرُّن يؤَثر في الخنازيري والذئب الاكال كما يؤَثر في التدرُّن دلالةً على انها كلها من قبيل واحد

(٨) ومنهُ . هل ذكرت حادثة سنة ٦٠ السوريَّة على وجه الصحة والتفصيل في كتاب من كتب التاريخ

ج رايناها في بعض الكتب الانكليزيَّة والفرنسويَّة وقد طبع ملخصها في جريدة اللطائف ولكننا لم نرَ فيها كتاباً عربيًّا على حدة

(٩) الاسكندريَّة . ج . س . كيف يستخرج الكنياك الجيد وهل يمزج عصير العنب بشيءٍ آخر وهل يكون عصير العنب قد بلغ درجة الخمر حينما يصنع الكنياك منهُ او يصنع منهُ حين عصرهِ

ج قلنا في الجزء الثالث من السنة الماضية " ان الكنياك النقي يستخرج في فرنسا باستقطار الخمر الفرنسوية... واجود انواعهِ ما استخرج من الخمر البيضاء وادناهُ ما استخرج من الخمور الاسبانيَّة والبرتغاليَّة او من نفاية الخمور الفرنسوية وكثير من الكنياك مزوَّر يصنع من سبيرتو الحبوب والماء وتضاف اليهِ مواد صبغيَّة وعطريَّة " ونزيد على ذلك الان ان عصير العنب لا بد من ان يكون خمرًا حين استقطار الكنياك منهُ ويستقطر من كل ١٠٠٠ جالون من الخمر ١٠٠ الى ١٥٠ جالونًا من الكنياك ولكنهم لا يبقون الكنياك بهذه القوة بل يمزجونهُ بالماء حتى يصير مقدار الالكحول الصرف فيهِ ٥٠ في المئة الى ٥٤ في المئة اي حتى يصير ثقلهُ النوعي من ٫٩٣٧٨ الى ٫٩٣٦٩ ويكون

الكنياك حينئذٍ ابيض وقد يضاف اليهِ سكر محروق ليتغير لونهُ ويصير باللون المعروف فيهِ. اما طعمهُ فمن الزيوت الطيَّارة المتكونة من قشر العنب . لكن عمل الكنياك من الخمر نادر جدًّا الان واكثر الكنياك الذي ترونهُ يصنع من سبيرتو البطاطس وتضاف اليهِ زيوت عطريَّة كزيت الكنياك المستخرج من زيت النخل (او زيت النارجيل) والزيوت الروحيَّة المستخرجة من قشر العنب

(١٠) الروضة . ح . ن . اي المملكتين اقدم عهدًا العجم او الصين

ج اتفق جمهور الباحثين على ان الصين اقدم الممالك عهدًا

(١١) ومنهُ. لماذا لا يذوب السكر اذا وضع في المسلي (السمن)

ج هذه صفة طبيعيَّة فيهِ اما سببها الطبيعي فلم يعلم تمامًا لكن العلماء يبحثون الآن في سبب الذوبان بنوع عام ويظهر لنا انهُ من قبيل الفعل الكيماوي وسنفرد لهُ مقالة مسهبة في وقت آخر

(١٢) ومنهُ اخبرني بعضهم انهُ دفن ذيل الحصان في مكان رطب فاستحال شعرهُ الى ثعابين حيَّة بعد مضي اربعين يومًا فهل لذلك شيءٌ من الصحة

ج كلاَّ

(١٣) اسيوط . د . ص . اخوان كان نظرها جيدًا فلما بلغا السنة الخامسة عشرة اصيبا بقصر البصر فما سبب ذلك وما هو الدواء النافع لهما

ج سببهُ الغالب كثرة المطالعة في كتب سقيمة الطبع على نور ضعيف . وعلاجهُ الامتناع عن هذا السبب واستعمال النظارات (العوينات) التي يشير بها طبيب العيون

(١٤) ومنهُ ما الواسطة لمنع قشر الرأس

ج راجعوا ما كتبناهُ عن ذلك في المجلد الخامس عشر صفحة ٤٨٧ في الجواب على علاج تنظيف الرأس من الهبرية (قشرة الرأس) . وقد رأينا فتاةً كثرت القشرة في رأسها فوصفنا لها ان تفرك اصول الشعر مرتين او ثلاثًا كل اسبوع بمزيج من زيت البترول والماء وتواظب على ذلك شهرًا من الزمان وكانت تفرك اصول الشعر في المساء ثم تنظفهُ بالماء والصابون في الصباح فلم تمضِ اربعة اسابيع او خمسة حتى زالت الهبرية (القشرة) تمامًا وكانت قبلاً كثيرة جدًّا لاصقة باصول الشعر

(١٥) ومنهُ ما هو الدواء لانماء الشعر في مكان الجرح

ج لا دواء لذلك غير عمليات النقل الجراحيَّة اي ان يقطع الجراح قطعةً فيها شعر ويزرعها في المكان الخالي من الشعر او ان يجذب طرفي المكان الخالي من الشعر ويخيطها معًا

اخبار واكتشافات واختراعات

النساء العالمات

ذكرنا في الجزء الماضي ان السيدة كلمبكي أُعطيت لقب دكتور في العلوم الرياضيَّة من مدرسة السربون الشهيرة . وقد وقفنا الان على ما خاطبها بهِ المسيو داربو العالم الرياضي حينما أُعطيت هذا اللقب قال ” لقد اشتغلتِ بمسألة من اعظم مسائل علم الفلك ألا وهي مسألة حلقات زُحل التي اشتغل بها مشاهير الفلكيين كغاليليو وهيجنس وكاسيني ولابلاس وغيرهم من رصفائي واصدقائي الكرام وهي من اعوص المسائل الفلكيَّة. واشتغالك بها ليس بالامر الطفيف وقد احلَّكِ محلاً رفيعاً بين السيدات اللواتي وقفنَ نفوسهنَّ على درس العلوم الرياضيَّة. ففي القرن الماضي ظهرت السيدة ماري اغنسي وأَلفت كتاباً في علم التفاضل والتكامل ثم نشأَت صوفيا جرمان واشتهرت بعلومها الرياضيَّة كما اشتهرت بالعلوم الادبيَّة والفلسفيَّة وكان لها مقام رفيع عند علماء الهندسة العظام الذين شرَّفوا وطننا في غرة هذا القرن. ومنذ سنين قليلة منحت اكادميَّة العلوم جائزة من احسن جوائزها للسيدة كواليوسكا قارنةً اسمها باسم بولر ولاكرانج الرياضيين الشهيرين في ما يتعلق بتاريخ المكتشفات في حركات الاجسام الصلبة حول نقطة ثابتة وذلك بناءً على تقرير لجنة من العلماء كنتُ مشرَّفاً بالانتظام فيها . وانتِ وقفتِ نفسكِ منذ بضع سنين على البحث في تخطيط السماء بهمةٍ عليَّة ففزتِ فوزاً مبيناً . ومقالتكِ التي انشأْتِها الآن بحسب العلوم الرياضيَّة العليا بمهارة لا تنكر هي اول مقالة انشأَتها سيدة من السيدات وقدمتها للجنتنا لتنال درجة دكتور في العلوم الرياضيَّة. ولقد اشتغلتِ شغلاً حرياً بكل شكر فأجمعتْ آراء لجنتنا على انك مستحقة درجة دكتور في العلوم الرياضيَّة واعترفت بذلك علانية “

الإنباء عن الانواء

ظهر من تقرير مجلس الظواهر الجوية ببلاد الانكليز ان الفرع الذي يشتغل بالإنباء عن تغيرات الهواء وحدوث الزوابع والانواء قبل حدوثها قد اصاب في نحو تسعة اعشار هذه الانباء وذلك انهُ اذا شعر بحدوث نوءٍ او زوبعة او اي تغير آخر في الهواء ارسل خبر ذلك بالتلغراف الى الاماكن التي يصل اليها هذا التغير فلا يخطئ الّا مرةً او مرتين من كل عشر مرات

ترعة السويس سنة ١٨٩٣

لم ينجح عمل هندسي كما نجحت ترعة السويس لكن السلطنة التي فُتحت فيها وتلفت تجارتها لاجلها وذابت مهج رجالها في حفر رمالها وهي السلطنة العثمانيَّة لم تستفد منها شيئًا. والسلطنة التي عارضت انشاءها اشدَّ المعارضة وهي السلطنة الانكليزيَّة استأْثرت باكثر فوائدها. والبلاد التي تباهي بانها هي المنشئة لها لا تستفيد منها عشر ما تستفيدهُ البلاد الانكليزيَّة. وهاك محمول السفن التي مرَّت في هذه الترعة في شهر يناير الماضي

	عددها	محمولها	طنًّا
السفن الانكليزيَّة	٢٣٨	٥٣٤٢٧٧	"
" الالمانيَّة	٠٢٦	٠٥٥٦٨١	"
" الفرنسويَّة	٠١٦	٠٣٧٨٠٣	"
" الهولنديَّة	٠١٥	٠٢٦٥٦٥	"
" الايطاليَّة	٠٠٦	٠١٣١٣٧	"
" النمسويَّة	٠٠٦	٠١١٩٨٦	"
" النرويجيَّة	٠٠٣	٠٠٥٨٤٦	"
" البرتغاليَّة	٠٠٣	٠٠٥٢١٠	"
" الاسبانيَّة	٠٠٢	٠٠٤٤٦٤	"
" الروسيَّة	٠٠١	٠٠٢٣٠٧	"
" البلجيكيَّة	٠٠١	٠٠١٧٦١	"

وتجري هذه النسبة في سائر شهور السنة على وتيرة واحدة تقريبًا اما السفن العثمانيَّة فلم يمر منها شيءٌ في يناير ومرَّ منها ٣٣ سفينة صغيرة في باقي شهور السنة. ومجموع السفن التي مرَّت في هذه الترعة في خلال السنة الماضية ٣٣٤٢ محمولها نحو سبعة ملايين و٦٦٠ الف طن وللانكليز وحدهم منها ٢٤١٤ سفينة محمولها خمسة ملايين و٧٧٠ الف طن اي ان السفن التي مرَّت في ترعة السويس في السنة الماضية ثلاثة ارباعها للانكليز والربع الباقي لبقيَّة امم الارض

علة الطيران

لا اصدق من قول من قال ان العادة تزيل الغرابة فقد رأى كل احد الطيور تحلّق في الجو وتبسط اجنحتها وتقف ساكنة في الهواء كأنها واقفة على بساط الارض مع انها اثقل من الهواء مئات من المرات. ووقوف الحديد على وجه الماء اقل غرابة من وقوف الطائر في الهواء لكننا لانستغرب وقوف الطائر لكثرة ما رايناهُ. وقد بحث الاستاذ لنغلي عن علة طيران الطيور ووقوفها في الهواء وفصَّل ذلك في مقالة مسهبة في جريدة العلم الاميركيَّة وخلاصة ما قالهُ فيها ان الهواء لا يخلو من نفحات يلي بعضها بعضًا وانهُ اذا انبسط سطح متسع على هذه النفحات حملتهُ بقوة دفعها ولو كان ثقيلاً فليس على الطائر والحالة هذه الآن ان يبسط جناحيهِ ويقف بحيث تدفعهُ هذه النفحات فيستقرّ في الهواء وقد يسير فيهِ وهو على هذه الحالة ضد مجرى الريح واذا تغيرت جهة هذه النفحات غيَّر الطائر موقعهُ اي

امال السطح الذي يتكوَّن من انبساط جناحيهِ فيبقى ساكنًا او سابحًا في الهواء حسبما يشاء. وعندهُ ان اكتشاف هذه الحقيقة سيسهل عمل آلة للطيران

الشعب الاشعر

ذكرنا غير مرة ان في جزيرة يازو شعبًا اشعر اجسام رجالهِ مغطاة بالشعر كاجسام الوحوش او كاجسام القرود وقد رأينا الآن في جريدة ناتشر العلميَّة صورة رجل من هؤلاء الرجال ويظهر منها ان سطح الجسد كلهُ يكون فيهم مغطًّى بشعر طويل كثيف ولكن عدد هؤلاء الناس قليل لا يزيد على ثمانية آلاف نفس وشكل وجوههم غير قبيح ونساؤهم يكدن يكنَّ حسان المنظر ولكنهنَّ يشمن وجوههنَّ فوق الشفة العليا وعلى جانبيها بوشم يشبه صورة الشاربين وشعر رؤُوسهن اسود رجل وقد يضرب الى الشقرة

اول مكتشف اميركا

كتب القبطان غمبير فصلاً طويلاً قال فيهِ ان القبطان كوزن الفرنسوي اكتشف نهر الامازون باميركا الجنوبيَّة سنة ١٤٨٨ اي قبلما اكتشف كولمبس سان سلفادور باربع سنوات وسماهُ نهر ماراغنون وقال ان هذا كان اسمهُ عند سكان تلك البلاد وكان معهُ في السفينة رجل اسمهُ فنسان بنسون ووقع الخلاف بينهُ وبين هذا الرجل فحوكم الرجل وحكم عليهِ بالنفي من فرنسا فمضى الى جنوى ومن ثمَّ الى الاندلس واشترك مع كولمبس فاقيم على ادارة سفينة من سفنهِ وهو الذي ارشدهُ الى اكتشاف اميركا لكن حملتهُ الضغينة التي كانت بينهُ وبين كوزن على اغفال اسمهِ من كل ما كُتب عن اكتشاف اميركا

المكتشفات المصرية الحديثة

اشرنا غير مرة الى ما اكتشفهُ المسيو ده مورغان من الآثار المصريَّة في جهات سقَّارة وقرب اهرام ابي صير. وتفصيل ذلك انهُ اكتشف في سقَّارة مسطبة ميرا الذي كان في عصر الملك تيتا احد ملوك الدولة السادسة وفي هذه المسطبة قبر ميرا وزوجتهِ وابنهِ والقبور الثلاثة متصلة بعضها ببعض ولها باب واحد وفيها ثلاثة سراديب وممرَّان و٢٦ غرفة جدرانها مغطاة بالنقوش وفي واحدة منها تمثال ميرا نفسهِ ارتفاعهُ سبع اقدام ونصف وامامهُ مائدة من المرمر الشفاف وقبر زوجتهِ جميل جدًّا كثير النقش والتزويق. وصور النادبات على غاية الاتقان وهناك صور كثيرين من العمال كالسباكين والصاغة ونحوهم. ومن رأي المسيو ده مورغان ان هذا الاثر اجمل الآثار المصريَّة القديمة الباقية من عصر الدول الاولى

ووجد بقرب هذه المسطبة مسطبةً اخرى اصغر منها من ايام الدولة السادسة والمصطبتان الى شمالي هرم تيتا. واكتشف بقربهما آبارًا كثيرة من عصر البطالسة استخرج منها ناووسًا من الغرانيت وآخر من الحجر الكلسي ووجد في بئر أُخرى ناووسًا كبيرًا جدًّا فيهِ جثة ملقاة على طبقة من البخور ولم تزل رائحة البخور الطيبة فيهِ. واكتشف في ابي صير قبر الملك سهورا من الدولة الخامسة وفيهِ دار فسيحة قائمة على عشرين عمودًا والى شماليها غرف كثيرة في احداها محراب مثلث وعلى جدرانها صور جرّ التماثيل الكبيرة التي كانت في ذلك القبر وفي غرفة اخرى من غرفهِ عمودان تاجاها كزهر النيلوفر ولم توجد اعمدة مثلهما من ذلك العهد حتى ان الاعمدة التي نصبها رعمسيس وخلفاؤُهُ لا تحسب شيئًا بالنسبة الى هذين العمودين في الجمال والاتقان

نسخة قديمة من الانجيل

اكتشف الدكتور غروت الالماني نسخة عربيَّة قديمة من الانجيل في مكتبة دير سينا كتبت سنة ثمانٍ وثلاثين واربع مئة للهجرة (اي سنة ١٠٤٧ للمسيح) وقد جاء في آخرها ما نصهُ ” تمَّ نسخ الاربعة اناجيل المقدسة في نصف الصوم المقدس لصاحبها اسطفان بن فريج الانطاكي المعروف بالرويس لما كان علمانيًّا وفي وقت نسخ الانجيل المقدس ترهب وصار اسمهُ ارساني وكتبهُ لهُ خاطئ مسكين ليس لهُ صلاح... من اهل السواد يعرف بسرور بن فريح من اهل النار رحم الله من قرأ ومن كتب وذكر كاتبهُ بالمرحمة وترحَّم عليهِ آمين وكان ذلك في شهور سنة ثمان وثلثين واربع ماية الهلاليَّة “

وشكل الخط متوسط بين الكوفي والرقعة وسننشر صورتهُ في الجزء التالي. واكتشف الدكتور غروت ايضًا في ذلك الدير كتبًا عربيَّة كثيرة يظهر من شكل خطها انها قديمة جدًّا وكتبًا اخرى باللغة السريانيَّة ونسخة من الانجيل باللغة الاراميَّة وحروفها متوسطة بين الحروف الفينيقيَّة والحميريَّة ولم يذكر احد انهُ رأى كتابًا بهذه اللغة وهذا الخط حتى الآن. وسنأتي على تفصيل ذلك كلهِ في الجزء التالي

مركَّب جديد من الكبريت والكربون

صنع الاستاذ فون لنجل في مدرسة بودابست مركبًا جديدًا من الكربون والكبريت وهو سائل احمر كثير البخار قليلهُ من بخارهِ يفيض الدمع من العين ويلهب الغشاء المخاطي واذا وقعت نقطة منهُ على الجلد صبغتهُ بلون اسود وهو خبيث الرائحة والبروم خبيث الرائحة ايضًا لكن يتركب منهما مركب عطري الرائحة

قنقر استراليا

في استراليا حيوان طويل الذنب والرجلين يربي اولادهُ في كيس متصل ببطنهِ وقد ظن احد علماء الالمان الآن انهُ هو الكركدن المقصود بما ذكرهُ المسعودي نقلاً عن الجاحظ من ان انثاهُ تحمل اجراءها سبع سنوات. مع ان المسعودي نفسهُ ارتاب في كلام الجاحظ وسأل عنهُ اهل عمان الذين شاهدوا الكركدن فقالوا انهُ لا يختلف عن البقر والجواميس. وعندنا ان ما استنتجهُ هذا العالم الالماني قريب من الصحة ونحن لم نرَ كتاب الجاحظ لكن الدميري خلط بين الكركند والكركدن ولعل الاول هو قنقر استراليا قال الدميري "ويبقى ولد الكركند في بطن امهِ اربع سنين واذا تمَّ لهُ سنة يخرج رأسهُ من بطن امهِ فيرعى الشجر مما يصل اليهِ واذا تمَّ لهُ اربع سنين وقع من بطن امهِ وفرَّ كالبرق". وقال بعد ذلك "واذا قاربت الانثى ان تضع يخرج الولد رأسهُ منها فيرعى اطراف الشجر ثم يرجع وقد انكر الجاحظ هذا"

البيض والمسكرات

اثبت المسيو فره ان بخار الالكحول يؤثر في البيض تأثيرًا شديدًا فيوقف نمو الفراخ فيها ويشوّهها تشويهًا فتولد مسوخًا وقد وجد ان الفرخ في البيضة المعرضة لبخار الالكحول ينمو في مئة ساعة قدر ما ينمو غيرهُ في عشرين ساعة ولعلَّ ذلك يعلل كثرة العقم والاسقاط في النساء اللواتي يدمنَّ المسكرات

حرير العنكبوت

في جزيرة مدغسكر نوع من العناكب انثاهُ كبيرة جدًّا يبلغ طولها ١٥ سنتيمترًا مع ان طول الذكر لا يزيد على ٣ سنتيمترات ونسج هذه العناكب حريري متين جدًّا وقد افرزت عنكبوتة منها خيطًا طولهُ ثلاثة آلاف متر في سبعة وعشرين يومًا. ويقال ان اهالي تلك الجزيرة ينسجون بعض المنسوجات من هذه الخيوط

خسارة العلماء

لم ينصرم العام الماضي حتى اودى بكثيرين من مشاهير العلماء وكبار المؤلفين كهرتز وباكر وبلفور ومرشل وولف وغيرهم وسنأتي على ملخص ترجماتهم واشغالهم العلمية في الاجزاء التالية من المقتطف

اصلاح خطإٍ * في الصفحة ٢٢٠ والسطر ١١ سنة ١٨٩٣ والصواب ١٧٩٣